الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة منتوري – قسنطينة –

كلية الآداب و اللغات
قسم الترجمة
مدرسة الدكتوراه

رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

- دراسة تحليلية نقدية لترجمة بعض ما أشكل تفسيره من القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية-

ترجمة أبي بكر حمزة أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة

إعداد الطالب:
كريم كحال

إشراف الدكتور:
عمار ويس

لجنة المناقشة:

د. رابح دوب	أستـــــــــاذ	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	رئـــيســـا
د. عمار ويس	أستاذ تعليم عالي	جامعـــــة منتـــوري قسنطينة	مشرفا و مقررا
صالح خديش	أستاذ محاضـــــر	المركز الجامـــــعي – خنشلـــة	عضـــــوا
عمار بوقريقة	استاذ محاضـــــر	جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل	عضـــــوا

السنة الجامعية: 2011-2012

المقدمـــــــــــة:

الحمد لله تعالى القائل وقوله الحق: "إنا نزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" [يوسف- الآية:2]، وقال: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" [الفرقان- الآية: 1] فجعل القرآن العظيم بلسان عربي مبين وأرسل به رسوله الحق إلى جميع العالمين: "إن ربك ربك عليم حكيم" [يوسف- الآية: 6]، وقد دأب المسلمون وغيرهم على دراسة هذا الكتاب المبين يستخرجون كنوزه ودرره الكامنة سواء في علوم الدين أو اللغة أو سائر علوم الدنيا فألّفوا منه الأسفار الكثيرة وأصرّوا على فهمه كاملا محكمه ومتشابهه، مبيّنه ومشكله، وقد يسّر الله عز وجل هذا القرآن لقارئه ودارسه فقال تعالى: "ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مذكر" [القمر- الآيات: 17/22/32/40] فيقرأه قارئه ويدرك معانيه وحكمه وعظمته، لكن سنة الله عز وجل اقتضت أنه جل جلاله فضل الناس بعضهم على بعض في الرزق وغيره، فجعل لطائفة منهم المال ولأخرى القوة، ولفئة من الناس العلم والفهم فوق ما عليه سائر العالمين، وكان من ذلك أن وقع في القرآن الكريم من كلام الله عز وجل ما لايتم فهمه وإدراكه تمام الإدراك إلاّ ما أوتي علما كثيرا يفضل به عامة الخلق، وقد سمى أهل العلم هذا الباب مما لا يتيسر إدراكه للعامة "مشكل القرآن" وحرصا من علماء الأمة الإسلامية على جلاء الأفهام وتيسير هذا الجانب من القرآن الكريم لمن أراد أن يدّبر، فقد ألّفوا فيه الكتب

والأبواب والفصول وعكفوا على آيات الكتاب العزيز شرحا وتبسيطا، قال إياس بن معاوية: "مثل الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من مليكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة، ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب" تفسير القرطبي 1/47، وقد كانت عندي عثرات في فهم بعض آيات القرآن الكريم لاشتمالها على بعض الظواهر التي رأيت أن أقلب عنها في التفاسير وكتب علوم القرآن فرأيتها في التنوع بحيث فاضت بها تلك الكتب وتنورت ببسط الحديث فيها، ثم بدا لي أن أنظر في ترجمة بعض هذه الآيات وأرى كيف فعل بها المترجمون إذ ليس أمرها بالهين على الفهم فكيف بالترجمة، وبعد الاطلاع على بعض ترجمات معاني القرآن الكريم كترجمة كازيمرسكي KAZIMIRSKI وشوراقي CHOURAQUI وحميد الله HAMIDALLAH ، ودونيز ماسون DENISE MASSON، وأبي حمزة SI HAMZA BOUBAKARوجدت بينها تفاوتا وتفاضلا واستقر اختياري أخيرا على ترجمة أبي بكر حمزة الجزائري لتكون مدونة هذا البحث، وهذا الاختيار مبني عندي على تعليلات أربعة أولها: أن ترجمته مزينة بالتعليقات والتعقيبات على ترجمته يشرح فيها المستغلقات ويزيد في المعارف عن آيات الكتاب العزيز، ويبسط فيها الأقوال وفي الظواهر ووجوه التفسير، وثاني هذه التعليلات أن ترجمته خرجت في طبعات تتعرض كل مرة للتنقيح والزيادة، وثالثها أن هذه الترجمة من أقل الترجمات التي تعرضت للانتقاد على

عكس ما وقع لترجمة كازيمرسكي مثلا، ورابعها أنني أحببت أن أقدم ترجمة أحد الأعلام الجزائريين بيانا لفضل هذه البلاد في ميدان الترجمة وخدمة الإسلام.

وبعد الاستقرار على المدونة أردت أن أحصر الموضوع الذي أدرسه فقررت أن أدرس مجموعة من أكثر ما بدا لي من الظواهر أن فيه إشكالا في فهم القرآن الكريم ومن بعده ترجمته، ولقد تنوعت هذه الظواهر بين الحذف والوقف وما ظاهره التعارض ونسبة مقول القول وغيرها، فتخيرت طائفة من هذه الظواهر على تنوعها، وجعلتها في عنوان جامع لها وللمدونة ومنهجية البحث فكان كما يلي:

دراسة تحليلية نقدية لترجمة بعض ما أشكل تفسيره من القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية –ترجمة أبي بكر حمزة نموذجا–

والذي أسعى إليه من خلال البحث هو الوقوف على حقيقة إشكالية تتعلق بالقرآن الكريم أساسها هذا التساؤل المتسلسل:

ما مدى الإشكال الذي تطرحه هذه الظواهر المنتقاة في فهم آيات القرآن الكريم؟ وهل هذا الإشكال يفضي فقط إلى الالتباس في فهم معاني الآيات أم إنه يحدث في نفس القارئ للقرآن شيئا منه غير محمود كأن يتطرق إليه الشك في تناسب آيات القرآن الكريم؟ ثم ماهي الوسائل المتاحة لدفع هذه الإشكالات في فهم الآيات القرآنية؟ وكيف كان تعامل أبي بكر حمزة مع هذه الظواهر من خلال ترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية؟.

ولأجل الإجابة على هذه الجملة من التساؤلات فإنني قد اتبعت في بحثي هذا خطة مقسمة إلى ثلاثة فصول: إثنان منها نظريان والثالث تطبيقي، وقد قدمت لهذه الثلاثة فصول بمدخل تمهيدي وعرفت فيه اللغة والدين وخصائص كل اللغات السامية عامة واللغة العربية خاصة، وكذلك تحدثت فيه عن الديانات السماوية والوضعية من أجل تسليم القارئ بالمعلومات المبدئية التي تيسر له الولوج إلى المفاهيم التي تعالجها بقية الفصول، ثم يأتي الفصل الأول وعنوانه: "علاقة اللغة العربية بالدين الإسلامي" فيه مبحثان رئيسيان أولهما عن علاقة اللغة بالدين من حيث إثبات وجود هذه العلاقة بينهما أصلا، ثم تعزيز هذا الإثبات بذكر نماذج عن ذلك، أمّا المبحث الآخر فهو أخص من الأول وفيه حديث عن البيئة اللغوية لنزول القرآن الكريم من خلال أقوال العلماء ومحاولة دفع شبهة العجمة في بعضه، ثم تحدثت عن فضل القرآن الكريم والإسلام عموما على اللغة العربية ودورهما في تعزيز مكانتها وذلك من خلال الكلام عن فضلهما في نشأة علوم العربية وازدهارها ثم غناها وثرئها من بعد ذلك بمختلف علوم القرآن التي نشأت بها.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه: "التفسير وعلومه، وعلاقته بترجمة القرآن الكريم" فجعلته للحديث عن تفسير القرآن الكريم بتعريفه أولا ثم ذكر الفرق بينه وبين التأويل ثم ذكر مناهج التفسير ووجه مع أحكامها ثم أنواعه وهي سبعة، وانتقلت بعد ذلك إلى المبحث الثاني وفيه بحث في أصول التفسير وهي ما يلزم المفسر العلم به قبل الكلام في كتاب الله عز وجل وهذه الأصول أيضا سبعة منها معرفة المحكم والمتشابه ومعرفة أسباب النزول وغيرها.

أما المبحث الثالث فأردت فيه بيان أسباب الاختلاف في تفسير أبعاض من القرآن الكريم، ثم ختمت هذا الفصل ببحث عن ترجمة القرآن الكريم تمهيدا للدخول في الفصل التطبيقي، أمّا الشق العملي من هذه المذكرة فإنه مشتمل على مقدمة وتعريف بالمترجم صاحب المدونة ومدونته ثم الجانب التطبيقي الصرف وقد جعلت عنوانا لهذا الفصل كما يلي:

"دراسة تحليلية نقدية لبعض ما أشكل تفسيره وترجمته من الآيات".

وقد قسمت المباحث التطبيقية إلى ثلاثة محاور رئيسية بحسب طبية الإشكالات المدروسة فكانت المحاور كما يلي:

باب النحو وفيه قسمان: المفردات والتراكيب أو نحو الكلمة ونحو الجملة وفي تطرقت إلى إشكالية عود الضمير وحروف المعاني في القسم الأول وإشكالية التقديم والتأخير والحذف ونسبة مقول القول في القسم الآخر.

باب الدلالة وفيه تحدثت عن الاشتراك اللفظي والترادف والتضاد والغريب.

باب بعض علوم القرآن وقد تخيرت منها نوعان: النسخ وما ظاهره التعارض.

ولم ألتزم في هذه المباحث بعدد متوازن من الآيات التي عملت عليها بل كان لكل واحد من تلك المباحث عدد معين ما بين آية وثلاث آيات بحسب ما ظننت أنه يكفي لتوضيح المسألة وبيان أهميتها.

أماّ المنهج الذي اتبعته في الدراسة فكان المنهج التحليلي بالنسبة للآيات والنقدي بالنسبة للترجمة، وتفصيل ذلك أنني أورد الآية التي فيها إشكال ثم أذكر إن كان غير جلي، ثم أذكر مختلف التفاسير أقوال العلماء في تفسير الآية وبيان الإشكال الذي فيها والجواب عنه، وبعدها أذكر ترجمة أبي بكر حمزة وأبين مكانها من أقوال المفسرين وطبيعة الترجمة الوارد فيها للظاهرة وأتبعها بإيراد من أقوال المفسرين وطبيعة الترجمة الواردة فيها للظاهرة، وأحاول في الأخير تقييم الترجمة في ضوء التفاسير.

ومن مجمل الأهداف التي أروم تحقيقها من خلال هذه المذكرة فإنني أحببت أن يدرك القارئ بأن اللغة العربية جزء لا يتجزء من القرآن الكريم وفهمه من فهمها، وأن للقرآن الكريم على العربية من الأفضال ما لا حصر له.

وأحببت كذلك أن أبين الإشكالات التي قد يقع فيها القارئ للقرآن الكريم لا تدعو إلى الخوف منها واعتزالها بل إن التفاسير أدوات ناجعة لإجلاء كل غموض وإشكال في فهم أي الذكر الحكيم.

أما من خلال الفصل التطبيقي فهدفت إلى التأكيد على مجابهة صعوبات الترجمة المتعلقة بالنص الأصلي لا من باب الاعتماد على أدوات الفهم والبحث واستقصاء المعنى، كما أهدف من ذلك أيضا إلى شحذ همم الباحثين إلى تكثيف جهودهم في البحث في ترجمات القرآن الكريم لأجل دفع التهم عنه عند الغربيين والمستشرقين الذين يكيدون للإسلام ويحاولون ضربه بضرب القرآن الكريم الذي هو أصله وعموده.

ومن أجل الخوض في البحث وإنشائه كما ينبغي عمليا ومنهجيا فإني قد اعتمدت مجموعة واسعة من المراجع تنوعت بين معاجم اللغة كلسان العرب لابن منظور وكتب علوم القرآن الكريم الذي هو أصله وعموده.

وأكثر ما ركزت عليه في هذا البحث التفاسير كتفسير القرطبي وابن كثير والطبري والتحرير والتنوير لابن عاشور وغيرها، كما اعتمدت أيضا على بعض كتب البحث اللغوي كتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، واللغة والنحو –دراسات تاريخية وتحليلية– لحسن عون.

ومقارنة الأديان ككتاب العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية لاحمد عمران، والكلمة السواء لياسر عبد الفتاح الأسطواني، والتوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث لموريس بوكاى، والأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام مها لإبراهيم محمد إبراهيم. أما عن صعوبات البحث فلا أدعي أنها تخرج من المعتاد في البحث العلمي، إذ لا يخلو هذا الشأن من المشقة المحمودة التي تميز الباحث عن القاعد، إلاّ أنني أحسست شدة في هذا البحث من حيث محاولة الإرتقاء بالأسلوب لمناسبة شرف الموضوع.

وبعد هذه المقدمة التي حاولت فيها تقديم البحث لقارئه فإن هذا القارئ يعلم أن الكمال المطلق لله وحده ولا بدّ أن هذا البحث يشوبه ما يشوب غيره من الزلات والنقائص التي أصلها من نقص الإنسان وعليه فإنني أرجو ألاّ يبخل على هذا البحث بالنقد والتصويب اللازمين لكماله.

وأشكر في الأخير الدكتور المشرف على هذه المذكرة لجهده القيم والمحمود في إبقائها على درب الصواب عامة وإخراجها إلى نور المناقشة ورفوف المكتبات.

والحمد لله أولا وآخر والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

❖ المبحث الأول: اللغة والدين:

1- تعريف اللغة:

أ-التعريف اللغوي:

لم يخل معجم من معاجم اللغة العربية قديما أو حديثا من تعريف للفظ اللغة، وذلك لأن أساس هذه المعاجم كلها إنما هو قائم على إحصاء كلمات اللغة وتعريفها، ومن التعاريف التي ذكرت للغة ما جاء في معجم "مجمل اللغة" لإبن فارس، إذ قال: "لغى بالأمر، يلغى، إذا لهج به، قال قوم: واشتقاق اللغة منه"[1].

والملاحظ في هذا التعريف ثلاثة أمور:

أولها أنه جعل اللغة من اللغي، **الثانية:** أنه جعل اشتقاق اللغة من هذا المصدر الذي بمعنى اللهج بالكلام، **والثالث:** أنه تعريف موجز لم يذكر فيه المؤلف مشتقات اللغة وجمعها كعادة أصحاب المعاجم.

وفي تعريف آخر في "تاج العروس من جواهر القاموس"[2] للزبيدي قال: لغو واللُّغة بالضم قال "ابن سيدة": اللغة.. اللَّسن، وحدُّها أنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) وقال غيره: هو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل، وهي فعلة من لغوت: أي تكلمت، أصلها لغوة

---

[1] مجمل اللغة، أبي الحسين بن فارس بن زكريا، ط2 مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان 1406 ه، 1986 م .(مادة لغو) .ج3،ص810

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط1 مطبعة حكومة الكويت (مادة لغو) ج 39، ص: 462

ككرة وقلة ... لاماتها كلها واوات، وقال الجوهري: أصلها لغي والهاء عوض، زاد أبو البقاء: ومصدره اللغو وهو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به، وحذفت الواو تخفيفا (ج لغات) وهذا التعريف أشمل من الأول، غير أنه تجاوز قليلا حدود التعريف اللغوي إلى وجه من أوجه التعاريف الاصطلاحية وهو قول "ابن جني" المشهور: اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[1]، وكان الأسلم له لو اقتصر على مصدر لغوي والجموع والمشتقات.

وإذا جئنا إلى المعاجم الحديثة نجد في المعجم الوسيط تعريفا للغة كما يلي: (اللغة): أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، (ج) لغى ولغات[2]، وهذا تعريف قاصر لأنه: نقل كلام "ابن جني" الذي ذكرنا، ولم يبين اشتقاق كلمة اللغة.

ومن المعاجم المعاصرة أيضا "**معجم اللغة العربية المعاصرة**" وجاء فيه: [اللغة]: كل وسيلة لتبادل الأفكار والمشاعر كالإشارات والأصوات والألفاظ[3].

وما يلاحظ في هذا التعريف أنه ليس تعريفا لغويا، فلا هو يتحدث عن أصل اشتقاق اللغة ولا عن جمعها ولا عن مشتقاتها بل عرفها تعريفا اصطلاحيا واسعا حتى شمل ما ليس من الكلام كالإشارات.

وإذا أراد الباحث التوسع في أمر اللغة فإني أرى أن يرجع إلى تعريف لسان العرب[4] ففيه فوائد كثيرة تزيد على ما ورد في هذه التعاريف وغيرها كالنسبة إلى اللغة والتي هي لغوي.

---

[1] الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط 2، دار الكتب المصرية، مصر. 1371هـ، 1952 م، ج1، ص:33

[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ، 2004م .(باب اللام) ص: 381

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة-مصر، 2008 م03، ص:2020

[4] لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل، محمد مكرم بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة –مصر د ت.

ب- التعريف الاصطلاحي:

إن أهمية اللغة جعلت منها مدارا لكثير من العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولقد نظر كل علم إلى اللغة من المنظر الذي ترتبط به قضاياه ومسائله، فكان من البديهي أن تختلف التعاريف الاصطلاحية للغة بحسب العلوم التي تعنى بها، وفيما يلي استعراض لبعض التعاريف في فتوى الشيء.

يقول ابن جني عن اللغة: "أمّا حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]

كما عرف دوسوسير اللغة على أنها تنظيم من الإشارات والرموز وتعني كلمة تنظيم مجموعة القواعد التي تحدد استعمال الأصوات والصيغ وأساليب التعبير النحوية.

وهي كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثري[2]

وبإمكاننا أن نعرض ما لا حدود له من التعريفات المتعلقة باللغة ولعل أشملها ما ذكره ابن جني في تعريفه.

---

[1] الخصائص، ابن جني، ج1، ص: 33

[2] التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ط1، دار الطليعة.

تعريف الدين:

التعريف اللغوي:

جاء في معجم العين:

والدين جمعه الأديان، والدين، الجزاء لا يجمع لأنه مصدر، كقولك: دان الله العباد يدينهم يوم القيامة أي يجزيهم وهو ديان العباد، والدين: الطاعة ودانوا لفلان، أي أطاعوه..
وقوله تعالى: "غير مدينين" [الواقعة–الآية: 86] أي غير محاسبين وقوله تعالى: "أإنا لمدينون" [الصافات–الآية: 03] أي مملوكون بعد الممات، ويقال لمجازون[1].
وقد عرف ابن منظور الدين قال: والدين، يوم الجزاء، قوله تعالى: "مالك يوم الدين" [الفاتحة–الآية: 03]، وقيل معناه مالك يوم الجزاء .. والدين الطاعة، وقد دنته ودنت له أي أطعته .. والجمع الأديان، ويقال دان بكذا ديانة وتدين به، وهو دين ومتدين، ودينت الرجل تدينا إذ وكلته إلى دينه، والدين: الإسلام ..والدين العادات والشأن، تقول العرب: مازال ذلك ديني وتديني، أي عادتي[2].
وقد اشتركت المعاجم في شرحها لكلمة دين والتي بتعدد مصادرها تعددت مفاهيمها، وقد اخترنا أن نقتصر أن نقتصر على ما هو متعلق بموضوعنا في معناها الدّال على الطاعة وإتباع دين الحق.

[1] كتاب العين، مرتبا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، 1424 هـ 2003م، (باب الدال)، ص: 61، 62
[2] لسان العرب، (مادة دين)، ص: 1468، 1469

ب- التعريف الاصطلاحي:

ويقول محمد علي التهانوي:

الدين بالكسر والسكون في اللغة يطلق على العادة والسيرة والحساب والقهر والقضاء والحكم والطاعة والحال والجزاء .. ويقول: هو وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح ..[1]

فتعريف الدين عنده هو العلاقة بين الحاكم والمحكوم والتي يتبع فيها المرء شريعة سماوية مصوغة في قوالب أمر ونهي وأحكام يفترض على الناس اتباعها.

ولا يختلف قوله عن قول الجرجاني: الدين وضع الهي يدعو أصحاب العقول قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

وقد نتفادى حشد التعاريف لتشابهها، واشتراكها في مفهوم واحد للدين، وجملة قولنا في هذه التعاريف اللغوية، أن كلمة "الدين" تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، ويخضع له فإذا نسب أمر الدين إلى الأول كان الخضوع والانقياد، وإذا نسب إلى الطرف الثاني كان الأمر والسلطان والشريعة وحكما إلزاميا كونه الرابط الجامع بينهما والدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعتريها.[3]

---

[1] موسوعة كشاف الاصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت –لبنان، 1996 م، ج1، ص804

[2] التعريفات، محمد الشريف الجرجاني، د ط مكتبة لبنان، بيروت-لبنان ، 1985، ص: 111

[3] أنظر: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، إبراهيم محمد إبراهيم، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة- مصر 1406 هـ، 1985 م، ص: 12

♣ المبحث الثاني:

1- اللغات السامية:

أ- تعريفها:

يراد باللغات السامية جملة من اللغات التي انتشرت واستعملت منذ فترات زمنية بعيدة في منطقتي آسيا وإفريقيا سواء منها ما اندثرت أو ما بقيت إلى هذا الزمان، وتعود تسميتها ب "اللغات السامية" إلى العالم شلوزر Schlôzer الذي كان أول من استخدم هذا المصطلح وذلك من خلال أبحاثه وتحقيقاته في تواريخ الأمم السابقة سنة 1781[1].

واستقى شولزر تسمية "السامية" من سلسلة المواليد التي ذكرتها الأناجيل لنوح عليه السلام إذ جاء في سفر التكوين: "وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث، وولد لهم بنون بعد الطوفان .. وسام أبو كل بني عابر، أخو يافث الكبير، وولد له أيضا بنون، بنو سام: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام، وبنو أرام: عوص وحول وجاثر وماش، وأرفكشاد ولد شالح، وشالح ولد عابر، ولعابر ولد ابنان: اسم الواحد فالج لأن في أيامه قسمت الأرض، واسم أخيه يقظان، ويقطان ولد، ألموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدروم وأوزال ودقلة وغوبال وأبيمايل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب، جميع هؤلاء بنو يقطان، وكان مسكنهم من ميشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق، هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم كألسنتهم بأراضيهم حسب أممهم..[2]

---

[1] تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1348 هـ، 1969م، ص: 02

[2] سفر التكوين: الإصحاح العاشر: 1-31

وقد شكك كثير من الباحثين في صحة هذه السلسلة التي ذكرها الإنجيل بسبب عدم ذكر الكنعانيين في أبناء سام بينما توجد روابط وصلات عنصرية ودموية ولغوية وشيقة بين بني إسرائل والكنعانيين واعتبار أبناء يعقوب من ولد سام ابن نوح يحتم اعتبار الكنعانيين كذلك أيضا.

ويعتقد بروكلمان Brockermann أن بني إسرائيل هم من أقصوا الكنعانيين من سلالة أبناء سام لأسباب دينية وسياسية رغم يقينهم بما يربطهم بهم من الروابط العنصرية واللغوية وغيرها واعتبروهم من بني حام لا من بني سام.

وكان التوزع الجغرافي للغات السامية سببا في تقسيمها إلى ثلاث فئات:

- **اللغات السامية الشرقية:** وتشتمل البابلية والأشورية.
- **اللغات السامية الغربية:** وهي الكنعانية والعبرية والآرامية.
- **اللغات السامية الجنوبية:** وتشمل العربية بلهجاتها والحبشية أيضا بلهجاتها.

ويميل بعض المستشرقين إلى جعل المنطقتين الشرقية والغربية منطقة واحدة فتصير اللغات السامية فئتان: شمالية وجنوبية.[1]

ب- خصائص اللغات السامية:

تجتمع في اللغات السامية خصائص توحدها من ناحية وتميزها عن غيرها من اللغات من ناحية أخرى، وأهم هذه الخصائص هي:

[1] تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، ص: 20

1. أن اللغات السامية ترتكز على الحروف (consonnes) ولا تلتفت إلى الأصوات (voyelles) بالقدر الذي تهتم به بالحروف، ولأجل ذلك لم يوجد في اللغات السامية حروف خاصة للعلامات كما هو الشأن في اللغات الآرية، وكان لهذا الإهمال أن أدي باللغات السامية أن أكثرت من الحروف وزادت في أعدادها عن المألوف في اللغات الآرية وأوجدت بذلك حروفا للتفخيم والترقيق وإبراز الأسنان والضغط على الحلق ..
2. أغلب الكلمات في اللغات السامية ذات أصل ثلاثي ولبعضها أصل ثنائي، وهذا الأصل يكون فعلا يزيد في أوله وآخره حروف لتشكل من الكلمة الواحدة صور مختلفة تفيد معاني متباينة.
3. سيادة الصيغة الفعلية في اللغات السامية جراء الاشتقاق الذي يكون من الفعل حتى غلب المظهر الفعلي على الأسماء الجامدة والألفاظ الدخيلة، وقد حاول الباحثون تتبع الأطوار التي مرت بالفعل في اللغات السامية لكنهم وجدوا الأمر بالغ الصعوبة لأن هذه التطورات قد حدثت خلال قرون ممتدة ومتطاولة، غير أن ما اتفق عليه أغلبهم هو أن الصيغة الأصلية للفعل هي صيغة الأمر ثم اشتقت منها صيغة المضارع حال الإسناد للفاعل والضمير كـ "يعود" من "عد" ويعتقد الباحثون أن زيادة الحروف أول الفعل كـ "يقوم" و"يعود" سابقة على الزيادة التي في آخره كـ "يقوم" و"يقمن"، كما يعتقد آخرون أن الفعل مشتق من صيغة شبيهة بالأمر كانت تستخدم للدلالة على جميع صيغ الفعل من الماضي والمضارع والأمر[1].

[1] أنظر تاريخ اللغات السامية، ص: 15-16

4. لا تشتمل اللغات السامية على إدغام كلمتين حتى تصير كلمة واحدة تدل على معنى واحد مركب من معنى هاتين الكلمتين كما هو الشأن في لغات أخرى.
5. تميل اللغات السامية في أساليبها الكتابية إلى الحفاظ على القديم واجتناب التغيير والتحويل حتى طغى عليها بعض الجمود عليها بعض وكثرة القيود في الأساليب الكتابية.[1][2]

ج- خصائص اللغة العربية:

تمتاز اللغة العربية بمجموعة من الخصائص سواء من البناء الداخلي أو من الجانب التراثي والروحي والشعري.

وأهم ما يميز هذه اللغة ثراء بنائها الداخلي وجماله واتساعه وهي كل جوانب اللغة من نحو وصرف وبلاغة ومعجمية وغيرها، وقد ساد في اللغة العربية مبدأ هام بنيت عليه وهو مبدأ الاعتدال، ومفاد هذا المبدأ كون أكثر كلمات العربية موضوعة على ثلاث أحرف وقليل منها موضوع على حرفين أو أربعة أو خمسة، وفائدة ذلك ألاّ يطول النطق ويتعذر في الكلمات التي تكثر حروفها وألاّ تتابع الكلمات الثنائية القصيرة الغريبة في العبارة الواحدة فيضعف متن اللغة ويحصل فيه التقطع الناجم عن توالي الألفاظ ذات الحرفين.

[1] المرجع نفسه ص: 18
[2] أنظر: كتاب فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط3، نهضة مصر، الجيزة- مصر، 2004(في خصائص اللغات السامية، ص: 14-17)

وقد وقعت بعض اللغات في هذا الإشكال كما يقول الباقلاني بتكرار الحرف الواحد في الكلمة الواحدة أو الكلمات المختلفة كالطاء والسين في اللغة اليونانية والحروف الكثيرة في تسمية الشيء في لغة الترك.

وشهد للغة العربية بالتميز في الاعتدال الكثير من الدارسين والمسشرقين أمثال أرنست رينان في كتابه (تاريخ اللغات السامية) إذ يقول عن اللغة العربية: "تلك اللغة التي فاقت أخوتها بكثرة مفرداتها ورقة معانيها وحسن نظامها ظهرت كاملة من غير تدرج"[1].

وقد أوضح بعض المستشرقين أن اللغة العربية تتفوق على العبرية والسريانية بقدرتها على الجمع بين خصائص اللغات السامية في سعة مخارجها الصوتية من أقصى الحلق إلى خارج الشفتين، مما خلق التوازن والثبات والقوة في كلماتها، وإضافة إلى سعة أصواتها ومخارجها فإن اللغة العربية متميزة باتساع معجمها إذ وضع للمعنى الواحد ألفاظ كثيرة تدل عليه وتسهل للمتكلم الاسترسال في الحديث وعدم التوقف لاستحضار اللفظ إذا كان وحده يدل على المعنى المقصود.

ويفيد هذا الاتساع المعجمي أيضا في رفع الحرج عن المتكلمين الذين يعانون من الصعوبة في نطق بعض الحروف فيتخيرون الكلمات التي لا تحتوي عليها كما اشتهر عن واصل بن عطاء من أنه خطب خطبة لم يستعمل فيها لفظة واحدة ذات راء لعدم إحسانه النطق به.

وتمتاز العربية أيضا بظاهرة التوليد والاشتقاق فنجد كلماتها متصلة ببعضها في دلالته الأصلية على عكس اللغات الأوروبية التي تقل فيها الظاهرة، فالمكتبة مثل في اللغة العربية

[1] أنظر: تاريخ اللغات السامية، إسرائيل والفونسون، ص: 203

من جنس اللفظ الذي اشتق منه الكتاب والكتابة بينما في (BOOK)و(Library) و (writer) في اللغة الانجليزية ليس بينهما ارتباط لفظي.

واشتهرت العربية كذلك بالمجاز وهو اقتران المعاني الحسية بالمعاني المجردة فتنتقل المفردة من معنى إلى آخر من غير أن تلغي المعنى السابق، ولا تحتاج المعاجم في وضعها إلى إتباع التسلسل التاريخي للفظة لأن معانيها في الغالب لا تهجر بل تستخدم جميعها وفقا لتنوع سياقاتها.

وفي العربية من الظواهر المميز الكثير، كالاشتراك اللفظي الذي تحمل اللفظة الواحدة عدة معان كالعين بمعنى عنصر الماء، والجاسوس، والذات، والنقد، وسيد القوم، والعين الباصرة وغيرها[1]، وظاهرة التضاد التي يحمل فيها اللفظ الواحد معنيين متضادين كالجون للأبيض والأسود، وعسعس للإقبال وللإدبار[2] وغيرها، كما تتميز العربية بالتوليد والمعرب الذي تأخذه من سائر اللغة كالزنجبيل والسندس والإستبرق[3] وظاهرة النحت كالبسملة من "بسم الله الرحمن الرحيم" وتقليد أصوات الأشياء كفحيح الحية، ورقرقة المياه، ونقيق الضفادع، وطنين النحلة وغيرها.

---

[1] أنظر لسان العرب، (مادة عين)

[2] أنظر الأضداد، رضي الدين محمد الصغاني، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1409هـ، 1989م، ص: 107

[3] أنظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، ط3، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر، د ت، ج2، ص: 268-294

♣ المبحث الثالث: الأديان بين الوحي الإلهي والوضع البشري:

الأديان الوضعية:

هي الأديان التي لا تنسب إلى الوحي السماوي، وإنما مرجعها فلسفات ومعتقدات البشر الذين يتخذون زعماء روحانيين وملهمين ثم يهيمون في مظانهم منها، وترتكز أغلب هذه الأديان على الجوانب الروحية والأهداف السياسية والمثل التي يحيا بها الناس في الدنيا.

فأسس هذه الأديان وأصولها ما تمليه عليهم أهواؤهم وتصوراتهم، أو ما قد يرعبهم من مظاهر في الطبيعة كتقلباتها وقوتها الخارقة أو ما قد ينجذبون إليه من جمال فيها و غير ذلك و قد ضرب الله لنا مثلا في صورة الأنعام فيما أوتي إبراهيم من برهان ينكر به على قومه بحسب بعض أهل العلم[1] في قول الله تعالى :"و كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي فلأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون" [الأنعام– الآية: 75،78]، كما حدثنا القرآن الكريم عن بعض الديانات الوضعية والتي كانت معظمها وثنية، ومن أمثلة ذلك ما جاء في سورة نوح قال تعالى: "وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا وسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا" [سورة نوح– الآية: 24].

جاء في تفسير التحرير والتنوير: ود، سواع، يعوث، ويعوق، ونسر، هذه أصنام قوم نوح[2] ..

---

[1] أنظر معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، دار للنشر والتوزيع، 1417هـ، 1999 م، ج3، ص: 18

[2] أنظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م، ج29، ص: 208

وكذلك ما نتلوه في القرآن من سورة النمل عن قوم سبأ، قال تعالى: "وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون"[النمل- الآية:24].

ذلك بعض ما ورد في القرآن الكريم الذين ضلوا السبيل وعبدوا غير الله مما تواضعوا على قداسته من الأصنام والكواكب.

ومن الديانات الوضعية أيضا ما هو معروف وسار إلى يومنا، كالديانات السائدة في الهند كالبرهمية أو الهندوسية أو البوذية والتي تعرف بغرابة معتقداتها وطقوسها كعبادة الحيوانات والأرواح، ففي الديانات البرهمية مثلا يعتقد الناس بتناقل الأرواح وتناسخها من كائن إلى كائن آخر، أو من إنسان إلى إنسان وهذه الأرواح في تجوال دائم مستمر أساسه إيمانهم بخلود النفس وأنه لا يلحقها التلف بحال من الأحوال[1].

وفي البوذية مثلا لا يؤمن الناس بوجود إله، فشريعة الحياة عندهم أخلاق يحتكمون فيها لكبيرهم وينشئون أصناما ومعابد يزورونها متبركين بها، ومن تعاليمها أيضا التسول والبطالة، فهي توصي بالتخلي عن أموالهم وعقاراتهم وحرقهم إياها، ومد اليد للآخرين[2]، وقد انتقلت هذه الديانات إلى كل من اليابان وتايلاند والصين وأندونيسيا والنيبال والتبت وسيلان وتطورت بحسب ما أضيف إليها من معتقدات أخرى.

[1] أنظر الديانات الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، ص: 94
[2] أنظر المرجع السابق، ص: 150-152

ولنا أن نشير أيضا إلى نوع آخر من الديانات الوضعية وهي الديانات اليونانية والتي مصدرها حب الجمال والخلود،.. فالآلهة عند اليونان تملك صفات البشر إلا أنها بلغة الكمال من القوة والعظمة والجمال فصارت بذلك آلهة.

ولكل واحد من هذه الآلهة وظيفة يقوم بها ومهمة لا يتعداها، ولا تخفى علينا بعض أسمائها مثل: جوبتر jupiter إله البحر، وأبولون Apollon مقسم الأنوار وغيرها من الآلهة[1]..

فهذا أقل ما نستطيع قوله عن هذه الأديان والذي غايتنا منه إعطاء لمحة عن هذه الأديان التي تزال تمارس طقوسها في بعض البلدان حتى يومنا هذا وذلك من أجل أن يدرك المرء ما هو وضعي من وحي بني البشر وبيان ما هو سماوي من وحي الله سبحانه وتعالى.

ب- <u>الديانات السماوية:</u>

تطرقنا إلى تعريف الدين كونه الوضع الإلهي السائق لذوي العقول فيهتدون به إلى صلاح الحال والمآل، وإن سلوكات الإنسان لا بد أن تكون محكومة بالقاعدة الشرعية التي تسن السبل الصحيحة والراشدة، يقول تعالى: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا" [الأحزاب- الآية: 36].

[1] الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة عرض عقائدي وتاريخي مسير، ناصر عبد الله القفاري وناصر عبد الكريم العقل، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض- السعودية، 1413 هـ، 1992م، ص: 88

وقد قضى الله سبحانه وتعالى أن يكون لحكمه رسولا تبلغ رسالاته بالحق، تدعو الناس إلى الإسلام وعبادة ربهم، يقول تعالى: " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" [النحل– الآية: 36].

وقد بدا الوحي الإلهي منذ نزل آدم إلى الأرض كما بينه الله في قوله: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم، قلنا اهبطوا منها جميعا فإماّ أن يأتينكم وحي مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" [البقرة– الآيات: 37–39]، هذا دليل على أن الوحي كان يأتي بدين الإسلام الحق منذ أن خلق الله بني البشر .. ونعقب على قولنا هذا بتطرقنا إلى ما قد ورد في العنوان من تسمية "الديانات السماوية" والتي كان غرضنا منه بيان ما تبثه الأفكار الإستشراقية في أذهان الأمم لدعم الحرب التي أعلنوها على دين الحق، فالقول بالديانات السماوية قول غلط إذ الأصل دين واحد هو دين الإسلام قوله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام" [آل عمران– الآية: 19]، فالتعدد إذن في الرسالات السماوية وهي كلها تحمل على دين الإسلام شارحة لمبادئه بوحدانية الله وأنه لا شريك له، ذلك هو الإسلام الذي أوحى إلى بني آدم على لسان من اصطفاهم الله رسلا وأنبياء.

وقد أوضح القرآن الكريم في عدة مواضع أن الدين ثابت على الإسلام غير متغير بتغير الوحي، وتغير الوحي ليس تغير محتواه العقائدي بل التغير يكون في بعض الأحكام العملية، أماّ نزوله فيكون دوما للهداية إلى دين الله، قال تعالى: "واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلاّ على الله وأمرت أن أكون من المسلمين" [يونس– الآية: 72، 71]، وقال جل

جلاله: "ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين" [آل عمران– الآية: 67]، وقال: " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون" [البقرة– الآية: 133]، وقال تعالى: "فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون" [آل عمران– الآية: 52].

أي إن الرسل جميعا كلفوا رسالات موضوعها الدعوة إلى دين الإسلام منذ نوح عليه السلام، وفي هذا قوله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب" [الشورى– الآية: 13].

فلا وجود لديانات مختلفة أو متعددة إذ الاختلاف في الرسالات، ولقد جاء القرآن الكريم شاملا لما نزلت به.

♣ المبحث الأول: علاقة الدين باللغة:

إن الوحي هو المصدر الأوحد للعقيدة والشرائع السماوية، والموحي هو الله، يدعو الخلق إلى الإيمان بألوهيته ووحدانيته وصفاته وملائكته ورسله، والتصديق بما حملته الكتب السماوية التي هي الزبور والتوراة والإنجيل، والقرآن خاتمها من شرع أصيل.

وقد أنزل الله هذه الرسالات متسلسلة بهدف التذكير بالحكمة الإلهية من خلق الكون وكنه مشيئة الله وعلمه، ومراعاة تبدل الظروف بتغير الملابسات والأحوال البشرية عبر العصور والدعوة بالترغيب والترهيب إلى حساب الآخرة، وتلك حكم أساسها مفهوم الحركية الذاتية في حياة الإنسانية "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير"[البقرة– الآية: 106]، وهذا النسخ المتلاحق لا يشمل الأسس العقدية الراسخة وإنما يستهدف بعض المفاهيم والأحكام العلمية قال تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" [الشورى– الآية: 11].

فشريعة الله واحدة لا تتغير، وإنما الاختلاف بين الرسالات وهذا الاختلاف لا يكون إلا في بعض الأحكام العملية تبعا لما يستجد من أحداث، وقد ظهر معظم الرسل في ظروف تحكمت خلالها في سلوك البشر عادات وأعراف منحرفة عن المسار الذي شرعه الله سبحانه وتعالى للناس.

وفيما يلي نماذج عن الرسالات السماوية نتطرق إليها من باب مختصر غايتنا منه تبيين العلاقة بين الرسالات السماوية ولغة المرسل إليهم.

نماذج عن علاقة الدين باللغة:

أ- لغة المدونة الأصلية للإنجيل:

من سنة الله في الخليقة أن بعث رسلا وأنبياء يهدون الناس لخيري الدنيا والآخرة، واقتضت أن يلتقي هؤلاء المرسلون من ربهم وحيا فيه الشرائع والأحكام والعقائد التي تلزم الخلق في معاشهم ومعادهم، وقد بين القرآن لنا ذلك في قول الله تعالى: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" [الروم- الآية: 22]، ثم جاء فضل الله أن بعث في كل أمة منهم نذير، فقال تعالى: "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" [فاطر- الآية: 24]، وأتمّ الله تعالى نعمته هذه بأن أرسل كل رسول إلى قومه باللسان الذي يفهمونه قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم"[إبراهيم- الآية: 04].

ومن الرسل سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام الذي بعثه الله إلى بني إسرائيل وأنزل معه الإنجيل هدى لهم وبلاغا.

وقد اختلف الباحثون خاصة منهم المسيحيون اختلافا واسعا في اللغة التي يكون تحدث بها عيسى بن مريم وما كانوا تواضعوا عليه كان مضمونه: هل تحدث عيسى ابن مريم بالآرامية؟ هل كان يتقن الإغريقية؟ هل كان ملما باللاتينية؟.

ولقد كثر الجدل والبحث في هذه المسألة في النصف الأول من القرن العشرين تزامنا مع تطور علم الآثار التوراتية بغرض البحث في نسبة الأناجيل المدونة إلى عيسى بن مريم.

ولقد لخص عبد العزيز شهبر إشكال نسبة الإنجيل قال: كيف يمكن أن نتصور الإنجيل بصيغة إغريقية، إذا كان عيسى عليه السلام قد ألقى بشاراته بالآرامية؟ وكيف نتصور إغريقية الإنجيل ونحن نعلم أن المسيح عليه السلام ما جاء لنقض الناموس[1] بل جاء ليتممه، أي أنه بعث في سياق أبناء إسرائيل، وفي سياق ما أسموه العهد القديم؟[2]، وكيف نتصور كل ذلك حين نقرأ في التاريخ أن فلسطين كانت في زمان عيسى عليه السلام خاضعة للحكم الروماني مع ما يقتضيه ذلك الخوض لزمن طويل من أن نعتبر اللغة اللاتينية هي لغة الغالبية من الناس[3].

ومن المؤكد تاريخا أن فلسطين في زمن المسيح كانت خليطا بين الأمم المختلفة لغاتها ولهجاتها، فمنها ما كانت تتحدث العبرية، وما ما كانت تتحدث الآرامية، ومنها ما كانت لغتها الإغريقية، ومن أهلها من تحدث باللاتينية.

وقد خاض الباحثون في مسألة الحدود الجغرافية لكل لغة من تلك اللغات في أرض فلسطين ومحاولة إثبات اللغة التي كانت ذات تأثير واسع في البلاد وقد افترض vossius وهنويش باولوس Heinrich paulus وهوغ Hug في القرن التاسع عشر أن بلاغ عيسى عليه السلام كان بالإغريقية معارضا إياهم دبيز ماشو Diez Macho إلاّ أن خضوع فلسطين للهيليين في تلك الفترة قد عزز الرأي القائل بإغريقية بلاغ عيسى عليه السلام[4].

واستدلوا على ذلك بقوة الهيلينية[5] في فلسطين بناءا على المكتوبات والنقوش الكثيرة التي عثر عليها بالإغريقية كما وجدت وثائق من البحر الميت كتبت باللغة نفسها.

---

[1] الناموس بحسب الأناجيل هو الشريعة التي وضعها سيدنا موسى، بوحي من الله، في الحقول المدنية والاجتماعية والأدبية والطقسية

[2] التوراة بتسميتها الحالية في الأناجيل

[3] لغات الرسل وأصول الرسالات، موسى، عيسى، محمد عليهم الصلاة والسلام، (رسالة ماجستير)، عبد العزيز شهبر وآخرون، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، ص: 51-52

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها

[5] اللغة اليونانية

وغلّب بعضهم الرأي القائل بأن لغة المسيح هي الرومانية نفسها لغة المحتل الغالب ولغة الإدارة بما تركته من آثار وما كان لها من تأثير في اللغة العبرانية في مواضع ذات دلالة هامة.

أماّ اللغة الآرامية فإن التاريخ قد سجل حضورها في فلسطين ابتداء من النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد، ثم غلبت هذه اللغة على مكان فلسطين اللغة العبرانية باللغة الآرمية.

ولم يخل العهد الجديد من الإشارات إلى اللغة الآرمية إذ جاء في إنجيل يوحنا: أمّا مريم المجدلية، فوقفت عند القبر تبكي، وانحنت نحو القبر وهي تبكي فرأت ملاكين في ثياب بيضاء جالسين حين كان جسد يسوع، أحدهما عند الرأس والآخر عند القدمين، فقال ها الملاكان: "لماذا تبكين يا إمراة؟" أجابت: "أخذوا ربي ولا أعرف أين وضعوه !"، قالت هذا والتفتت وراءها فرأت يسوع واقفا، وما عرفت أنه يسوع، فقال لها يسوع: "لماذا تبكين يا امرأة؟ ومن تطلبين؟" فظنت أنه البستاني، فقالت له: "إذا كنت أنت أخذته يا سيدي، فقل لي أين وضعته حتى آخذه"، فقال لها يسوع: "يا مريم"، فعرفته وقالت له بالعبرية: "ربوني !" (أي يا معلم).[1]

وجاء في كتاب آرامية العهد القديم: "واستمر الناس يتخاطبون بالآرامية، وكانت هي اللغة الوحيدة التي يتقنها الناس في عهد السيد المسيح، وبهذا كانت تشرح الأسفار المقدمة في المجامع والكتب اليهودية، وهكذا نشأ (الترجوم)، وهي ترجمات آرامية مفصلة للكتاب المقدس.

[1] إنجيل يوحنا: الإصحاح 11:20، 12:20، 13:20، 14:20، 15:20، 16:20

ولدينا شواهد أخرى عن الآرامية الفلسطينية، منها تلمود أورشليم، وبعض كتابات المجامع والقبور أو مخازن العظام عند اليهود.[1]

وكتب بيلاطيس[2] على الصليب لوحة كتب فيها: "ياسوع النصاري ملك اليهود"، فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود، أن المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريبا من المدينة وكان مكتوبا بالعبرانية واليونانية واللاتينية، فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: لا تكتب: ملك اليهود : إذ ذاك قال: أنا ملك اليهود فأجاب بيلاطس "ما كتبته قد كتبته".[3]

وحسب الرؤية الإنجيلية فد عيسى ربه بالآرامية قوله: "إيلي إيلي لما شبقتني" أي إلهي إلهي لماذا تركتني[4].

كل ذلك يبين أن أغلب حديث عيسى عليه السلام كان بالآرامية ثم يأتي حديثه بالعبرانية، وفي كل الأحوال لا يمكن الجزم إن كان المسيح تكلم لغة واحدة، أو عدة لغات، وإن تكلم لغة واحدة فلا يمكن الجزم بأيّ منها تكلم، أماّ الأناجيل فهي مسألة أخرى إذ المعلوم أن الأناجيل التي بين أيدينا ليست من إملاء المسيح بل من إنشاء أصحابها، وقال في ذلك القسُّ إبراهيم معد: "إنجيل لوقا لليونان، وإنجيل يوحنا كتب لليهود، وإنجيل مرقس كتب للرومان".[5] فكافة أسفار العهد الجديد كتبت بعد المسيح عليه السلام، كما أن ترتيب مواد العهد بوضعه الحالي لا يطابق الترتيب الزمني لتأليفها.. والنسخة الآرامية الموجودة بين أيدينا اليوم المسماة "البشيتا"أي البسيطة، والمكتوبة باللهجة السريانية فقد ترجمت عن الأصل بعد إنعقاد مجمع

---

[1] آرامية العهد القديم، قواعد ونصوص، يوسف منى فوزي ومحمد كامل ركان، د ط، المجمع العلمي، بغداد- العراق، 1427هـ، 2006م، ص: 28

[2] بيلاطس البنطي (باللاتينية: pontius pilatus)، ولد في 10 قبل الميلاد، كان الحاكم الروماني لمقاطعة أيوديا أو "اليهودية" بين عامي 26 إلى 36، وحسب ما مكتوب في الأناجيل الأربعة المعتمدة من قبل الكنيسة، فإنه قد تولى محاكمة المسيح، وأصدر الحكم بصلبه.

[3] إنجيل يوحنا الاصحاح 19:19، 19:20، 19:21، 19:22

[4] إنجيل متى 46:27

[5] العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، أحمد عمران، د ط، دار الوعي بيروت، لبنان، د ت، ص: 113

نيقيه[1] الشهير، وبعد هذه الترجمة السريانية ترجم العهد الجديد من اليونانية إلى اللاتينية وهي الترجمة التي اشتهرت باسم "فالجيت" بمعنى الشعبية أو الشائعة..[2]

ب–لغة المدونة الأصلية للتوراة:

كان البلاغ المحمول في التوراة والمنزل على سيدنا موسى موجها إلى فرعون وبني إسرائيل ولقد عاش عليه السلام في مصر أربعين سنة، مما يجعلنا نقول أن لغته كانت حتما هي اللغة المصرية، ولقد تعددت النظريات حول لغة هذا البلاغ ذلك كل بحسب الجهود المبذولة في سطر معالم تاريخ أصول تدوين هذه الرسالة، وما تذكرة التوراة الحالية عن لغة تلقي موسى للوحي ليس بدليل يمكن الاستناد إليه، فهي تذكر أن ما سمعه سيدنا موسى من فم يهود عند تلقي الألواح لم يكن كلاما ولا لغة إذ تقول التوراة نفسها: "وكان صوت البوق يزداد اشتدادا وموسى يتكلم والربّ يجيبه بصوت"[3].

فإن كان بنو إسرائيل دونوا آن ذاك ما كان يمليه عليهم نبيهم مباشرة على لسانه فيحتمل أن تكون لغة المدونة هي المصرية، كونها اللغة المشتركة بين جميع سكان مصر في ذلك العهد.

ويشهد القرآن بنزول الألواح[1]على سيدنا موسى عليه السلام قبل نزول كتاب التوراة عليه فالألواح نزلت على سيدنا موسى قبل خروجه من مصر، وبعد أن تخلص من فرعون وحكمه أنزل الله عليه كتاب التوراة[2].

---

[1] سمي مجمع نيقية بهذا الإسم نسبة إلى المدينة التي عقد فيها وهي العاصمة الثانية لولاية بيثينية وتقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، وموضعها الآن في قرية اسنيك التركية، وهو المجمع المسكوني الأول هو أحد المجامع المسكونية السبعة وفق للكنيستين الرومانية والبيزنطية وأحد المجامع المسكونية الأربعة وفق الكنائس الشرقية القبطية والأرمينية والسريانية، عقد المجمع بناء على تعليمات من الإمبراطور قسطنطين الأول لدراسة الخلافات في كنيسة الإسكندرية بين آريوس وأتباعه من جهة وبين الكسندروس الأول (بابا الاسكندرية) وأتباعه من جهة أخرى حول طبيعة يسوع هل هي نفس طبيعة الرب أم طبيعة البشر.

[2] أنظر، الكلمة السواء، ياسر عبد الفتاح الأسطواني، ط د، دمشق- سوريا، 1427 هـ، 2006م، ص: 17-20

[3] خروج (19:19)

[1] وردت "الألواح" أربع مرات، ثبتت ألفها في ثلاث منها، وحذفت في الموضع الرابع:
في قوله تعالى: "وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء"(145-الأعراف)
وفي قوله تعالى: "وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه"(150-الأعراف)
وفي قوله تعالى: "ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون" (154-الأعراف)
الألواح في هذه المواضع هي الألواح التي كتب عليها موسى عليه السلام التوراة، لتحفظ التوراة لقومه، ويمتد وجود ما عليها بين أيديهم، وعلى ذلك كان ثبات ألف المد منها، في قوله تعالى: "وحملته على ذات ألواح ودسر"(13-القمر)

[2] أنظر: الكتاب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى عيه السلام، دقن الباشا، ط1، دار قتيبة، دمشق-سوريا، 1425هـ، 2004م، ص: 17-23

وهذا ما قد يؤكد فرضية أن ما أنزل على موسى قد دوّن بالمصرية، أمّا بعد خروجه من مصر فيعتقد أنه قد بلّغ رسالته بالآرامية[3].

وإن ما لدينا اليوم من تدوين للتوراة مكتوب باللغة العبرية الحديثة والتي خلال مراحل تطورها مرت بمرحلتين أساسيتين حيث أنها وبعد أن تشكلت معالمها هجرها اليهود إلى اللغة الآرامية ثم عادت لتتبلور حروفها في شكلها الجديد المعروف حاليا.

وكل ذلك ما هو إلاّ دليل على أن التدوين الأول للتوراة كما تلقاها الناس مباشرة على لسان موسى عليه السلام غائب ذو معالم مجهولة، ولا يمكن أن تكون قد دوّنت بالعبرية.

وهذه النبذة التاريخية لبعض ما ورد عن تاريخ المدونة الأصلية للتوراة إثبات بسيط تطرقنا فيه إلى ارتباط الرسالات بلغة من أرسلت إليهم، ومن أراد أن يتمعن في هذا المبحث فقد تعددت المصادر التي تحدد تاريخ هذه الرسالة، وبالرغم من أن الكثيرين قد تطرقوا إلى هذا الموضوع إلاّ أن النتيجة مآلها واحد، وهو عدم ثبوت لغة مدونة التوراة التي كتبت بها لأول مرة.

[3] أنظر: أرامية العهد القديم نصوص وقواعد، يوسف متى فوزي محمد كامل روكان، ص:44

♣ المبحث الثاني: اللغة العربية والقرآن الكريم:

أ- البيئة اللغوية لنزول القرآن:

أغلب الظنّ أن اللغة العربية قبل مجيء القرآن الذي فتح لها باب الاستقرار على أسلوب عظيم ذو أعمدة لا تهزّ مع مرّ العصور، إنما هي نتاج مزيج من لهجات قبائل عربية عُرفت بقبائل الشمال وقبائل الجنوب، وتميزت كل واحدة منها بيئتها الجغرافية وظروفها الطبيعية والاجتماعية وتقاليدها ومعتقداتها كل بما توفرت عليه من ميراث ثقافي تناقلته عبر الأجيال[1]، هذه الاختلافات لم تكن عائقا لامتزاج هذه القبائل واحتكاكها وتبادل ما أمكن تبادله في مختلف المجالات، خاصة الاقتصادية منها، إذ كانت التجارة أعظم الشؤون التي شدّت لها الرجال وعقدت لها الموترات ونصبت لها أعظم الأسواق، إلى جانب العلاقات السياسية التي كانت تربط قبائل هذه المناطق.

وكانت مكة مصبّ العابدين ومجمع المتعبدين، يأتونها من كل فجّ ليحجّوا إليها ويقضوا بها مناسك شرائعهم.[2]

وكأيّ من الأمم امتزجت ثقافتها، وتبادلت مصالحها، كان أول ما يتأثر جرَّاء ذلك لغتهم، وبالرغم من كون العربية القائم المشترك، إلاّ أن لهجاتها اختلفت، وصبّت في مصب آل قريش وامتزجت بمكة مشكلة اللغة التي تخاطب بها العرب وتناقشوا فيها، فكانت لقريش الغلبة لما كانت تملكه من سلطان اقتصادي وديني وكان للهجتها الحظ الوافر في كونها أغنى لهجات العرب وأفصحها وأرقاها أسلوبا وأدناها إلى الكمال وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول.[3]

---

[1] تاريخ الأدب العربي، أحمد حسين الزيات، د ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، ص:14

[2] أنظر فقه اللغة، عبد الواحد الوافي، ص: 86-87

[3] أنظر: لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، 1401 هـ، 1981م، ص: 39-42

فكان لها النصيب أن أصبحت لغة الآداب والشعر، ولغة الخطاب، حتى تهيأت لها الظروف أن صارت لغة يتناقش بها أفصح القوم، وأصبح الكلام بذلك أعظم تجارة تتبادل في الأسواق.

قال عبد الواحد الوافي في كتابه فقه اللغة: ".. وكان للعرب أسواق عامة للتجارة والآداب، وغيرها لا يكاد يخلو منها شهر من شهور السنة، فكانوا يجتمعون في دومة الجندل في ربيع الأول، ثم يتنقلون منها إلى سوق هجر بالبحرين في شهر ربيع الآخر، ثم إلى سوق عمان حيث يظلون إلى جمادى الأولى، ومن سوق عمان ينزلون إلى المشقر فتقوم سوقهم به أول من جمادى الآخر، ثم يفدون على الصحاري فيقيمون لها بضعة أيام من رجب، وتقوم سوقهم بالشحر في النصف من شعبان، وينفضّون من سوق صنعاء في آخر رمضان، فتأخذ جميع القبائل خلال شوال في الاستعداد لأكبر سوق عربية وهي عكاظ فيعمرونها في العشرين من ذو القعدة، ثم يغادرونها إلى ذي المجنَّة قرب مكة فيقضون به بقية ذي القعدة، ومنه يذهبون أول ذي الحجة إلى ذي المجاز بجانب عرفة، ولما كانت الأسواق الثلاثة (عكاظ، وذي المجنَّة، وذي المجاز) تقام قبل موسم الحج وبالقرب من مكة حيث تؤدي مناسك هذه الشعيرة، كانت أهم الأسواق جميعا وأكثرها عددا وأجمعها لقبائل العرب[1].

فقد كانت قريش تختار من ألسنة الوفود التي تأتيها من مختلف القبائل العربية ما وافق طباعها وتضمه إليها، فكانوا يحيطون بأفصح الألسن وأنسقها قولا خال من الأوشاب اللهجية القبلية.

وهو ما بيَّنه ابن فارس في كتابه الصحابي "وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائفهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب"[2]

---

[1] فقه اللغة، عبد الواحد الوافي، ص: 93

[2] الصحابي في فقه اللغة والدين وسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1418هـ، 1997م، ص: 28

وبذلك كانت الغلبة للغة القرشيين إذ صارت الوفود تتناقلها إلى قبائلهم، ذلك بعد أن كانت قريش ترسل أبنائها إلى البادية لينشئوا ويتكونوا على اللغة السليقة، تلك مشيئة الله في عباده أن هيئ لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الظروف اللغوية لنزول القرآن، فانتشرت لغة قريش عبر الجزيرة العربية، قال حسن عون في كتابه اللغة والنحو: "ومنذ نهضت قريش في أرض الحجاز وبدأت تسود غيرها من القبائل، وتتزعمها في الدين والسياسة والاقتصاد، أخذت لهجتها تسود اللهجات الأخرى وتتغلب عليها.. وهي التي أورثتنا هذه الآثار الدينية والأدبية والعلمية، وهي أيضا لغة القرآن".[1]

هذا ما أجمع عليه العلماء بأن لغة قريش أفصح لغات العرب قبل مجيء الإسلام، وكما سماها الباحثون، فهي اللغة المشتركة التي تهيأت دعائمها لحمل معاني القرآن الكريم الذي وبعد نزوله زادها ثراء وغنى واتساعا.

وقد حصر أصحاب هذا الرأي لغة القرآن واللغة العربية عموما في لهجة القرشيين مستندين في أحكامهم إلى أسس وقواعد نشأة اللغة المشتركة التي بامتلاكها خصلة الفصاحة تكون قد أخذت من تلك اللهجات التي انصهرت باحتكاكها معها والتي ساهمت في إثرائها وغناها، ذلك ما تحدث عنه رمضان عبد التواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة مرجّحاً القول بكون لغة قريش هي الفصحى الخالية من العجمة والشوائب القبلية لما ملكته من زاد لغوي تأسس عندها على خلاف أخرياتها من اللهجات، لما طوّرته نتيجة استلامها لسلاح السلطنة والهيمنة، ولنا أن نشير إلى هذا الاختلاف دون التعمق فيه لأن المراد من بحثنا ليس إبراز لهجة "من" تبنت الأقوام، بل غايتنا تبيين مدى نقاهة اللغة التي كانت رمزا من رموز القوة العربية وكانت الإعجاز في آخر تنزيل ربانيّ.[2]

---

[1] اللغة والنحو دراسة تاريخية وتحليلية ومقارنة،حسن عون، ط1، مطبعة روايال، الاسكندرية-مصر، 1952، ص: 42

[2] أنظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1417هـ، 1997م، ص: 172-173

أمّا تطرقنا لتاريخها فليس لدراسة مراحل تطورها، بل للقول بمدى قوة سلطانها والأهمية التي أعارها العرب للسانهم كما رأينا في كونه أعظم تجارة وأعظم الشؤون التي خاضت فيها العرب.

وأمّا الذين عارضوا الرأي القائل بسيادة لغة قريش، فقد كان استندوا في ادعائهم إلى أن أسباب سيادة هذه اللهجة يعود إلى كون النبي صلى الله عليه وسلم من بني قريش فكانت الغلبة للحكم القائل بسيادة تلك اللهجة، أي أن القائل بغلبة قريش إنما هو معتز بكون نبي الإسلام منهم[1]، وهذا ما يظهر لنا بعض التعصب في حكمهم، ذلك تقصيرا منهم لقدرة الرحمان في تسيير شؤون عباده.

حتى وإن كان الأمر على ما يزعمون فعزة الإسلام والمسلمين كون محمد صلى الله عليه وسلم القرشي نبيهم وهذا افتراء من بذور المستشرقين الذين يحاولون ضمر أحقادهم وضغائنهم خلف ستار البحث اللغوي.

أما القائلون بالرأي نفسه غير هؤلاء فلهم استنادات عديدة منها كون القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ولم ينزل بلسان قريش كذلك كون القرآن نزل على سبعة أحرف حاملا في طرق القراءات ما لم يكن في لهجة القرشيين فقط، إضافة إلى خلوّ النصوص الأدبية الجاهلية من أثر قريش، كذلك كون الرسول صلى الله عليه وسلم قد خاطب القبائل بلغاتهم مشيرا إلى امتلاكها من الفصاحة ما لقريش.[2]

وما قصدوه في تأويلاتهم وحججهم هذه أن تلك القبائل لم تكن بحاجة لتنصاع تحت إمرة قريش اللغوية، وغير تلك المزاعم كثير، وإن صدقت فغالب الأمر الرجوع غلى قوانين الغلبة التي تملكها لغة قريش، فعوامل تفوقها كانت ذاتية من داخلها لا من خارجها.

---

[1] أنظر المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، د ط، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفيست، طنطا-مصر، 1417هـ، 1996م، ص:99

[2] أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط2، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1413هـ، 1993م، ج8، ص: 624-694

فالقرآن الكريم يكمن إعجازه في لغته، فهو لم يُنزَّل بلهجة قريش وحدها، كون لغته تمثل اللغة المشتركة التي تعود جذورها إلى أصول متعددة حتى يتمكن من فهم خطابه وأدبه وكتابته كل من تكلّم العربية.

وعليه فاعتبار لهجة أفصح من غيرها يكون بمقدار بعدها عن العجمية واللحن، وقد تحقق هذا لقريش التي كانت تختار من كلام الوفود التي كانت تزودها أفصح قول وأوضحه، قال ابن خلدون في مقدمته: "كانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من تثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبن تميم، وأما من بعد عنهم من ربيعة، ولخم، وجذام، وغسان، وقضاعة، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم،وعلى نسبة بعدهم عن قريش، كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية"[1].

وهذا ما يوضحه ابن جني في كتابه الخصائص معتبرا أن مقياس الصناعة قائم على صحة السليقة والبعد الأعاجم وعدم التأثر بهم.[2]

فاعتبار لغة قريش أفصح اللهجات وأوضحها، أو تم إضافة بعض اللهجات الأخرى لتكوين اللغة المشتركة لا يحول عن اعتبارها لغة العرب جميعا قبل نزول القرآن الكريم، إذ كانت لغة الشرق والأدب والخطاب وغير ذلك.

ولعل خير دليل انتقيته خلال دراستي حوار معاوية بن سفيان ورجل من السماط حول أفصح الناس: قال معاوية يوما: "أي الناس أفصح؟" فقام رجل من السماط فقال: يا أمير المؤمنين قوم ارتفوا عن فراتية العراق وتياسروا عن كشكشة بكر، وتيامنوا عن عنعنة تميم، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير، قال: فمن هم؟، قال: قومك قريش".

---

[1] المقدمة: عبد الرحمان ابن خلدون، تحقيق عبد السلام الشدادي، الطبعة الخاصة في خمس مجلدات، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 2005م، ج3، ص: 130

[2] أنظر: الخصائص، ج2، ص: 12-14

وعليه فإثبات الفصاحة لقريش ليس نفيها عن غيرها كون القرآن جاء تيسيرا وإعجازا لا تعسيرا وتعجيزا، قوله صلى الله عليه وسلم: "أقراني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".[1]

فاللسان القرشي أفصح الألسن وأقربها إلى الكمال، تأييد رأينا فيما يلي بلا منازع، إذ قال لزيد بن ثابت[2]، ومن كلّفوا بكتابة القرآن الكريم: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن الكريم فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم"، وما أخرجه أبو داود عن طريف كعب الأنصاري أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل.[3]

وغير هذه الأقوال كثيرة مما أثبت أن القرآن الكريم بلسان قريش الذي تبنَّى بديع الكلام.

---

[1] صحيح البخاري، رقم: 4991، وصحيح مسلم، رقم: 819

[2] زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، من فقها الصحابة، مات في ولاية معاوية بن أبي سفيان، منذ بدأ الدعوة وخلال إحدى وعشرين سنة تقريبا كان الوحي يتنزل، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم يتلو، وكان هناك قلة مباركة تحفظ ما تستطيع، والبعض الآخر ممن يجيدون الكتابة، يحتفظون بالآيات مسطورة، وكان منهم علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت.

[3] حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن أنس أن حذيفة قدم على عثمان بن عفان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية واذربيجان مع أهل العراق فرأى حذيفة اختلافهم في القرآن فقال لعثمان بن عفان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت حفصة إلى عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وبعد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف وقال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم حتى نسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان إلى كل افق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخو...جاء في صحيح البخاري، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، رقم: 4702

ب-إثبات عربية القرآن الكريم:

لا يختلف اثنان في كون اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم هي العربية تصديقا لقوله سبحانه وتعالى: "وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم" [إبراهيم- الآية: 04]، تلك سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه أن بعث في كل أمة رسولا يهديهم إلى دين الحق وقد اختص سبحانه وتعالى هذه الرسالة السماوية الخاتمة لكل الرسالات بجملة من الخصائص التي فضلها على غيرها، وجاءت شاملة ومتممة لها ناسخة إياها بما فضل الله على عباده، على عكس الرسالات الأخرى التي نزلت على أصحابها دفعة واحدة، وقد نزّل الله القرآن الكريم متواترا بغية أن تتدارك هذه الأمة الأمية رموز اللغة العربية التي أضفى القرآن الكريم عليها طابعا جديدا عصمها الله به من الاندثار والتفكك، فقط يظن المرء أن للعربية فضلا على القرآن الكريم كما يجول في أفكار من جهل أصول هذا الدين، إلاّ أنه لولا القرآن الكريم ما كانت العربية لتبقى وتصير إلى ما هي عليه الآن، فإثبات عربية القرآن الكريم ليس إلاّ تذكيرا بعظمة شأنه وإعجازه، إذ الإعجاز في القرآن في لفظه ومعناه وإذا ما ابتغى المرء لدين الحق سبيلا وجب عليه تعلم لغة هذا الكتاب.

قال تعالى: "وإنه لتنزيل رب العالمين(192) نزل به الروح الأمين(193) على قلبك لتكون من المنذرين(194) بلسان عربي مبين(195)" [الشعراء- الآية: 192-195].

فإن تأملنا قوله تعالى: "بلسان عربي مبين" فكلمة مبين هنا عصمة للغة القرآن التي رقت إلى أعلى مستوياتها من المعاني والفنون الكلامية، لكي لا يفتري مفتر على أنه كلام بشر.

قال ابن كثير في تفسيره: وقوله: "بلسان عربي مبين" أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينا واضحا ظاهرا قاطعا للعذر، مقيما للحجة دليلا إلى المحجة.[1]

ومما يميز لغة القرآن الكريم عن غيرها الإعجاز الذي دلّت عليه الآية: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" [الإسراء– الآية: 23]، بل جعل الله سبحانه وتعالى التحدي بسورة واحدة: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله" [البقرة– الآية: 23].

فقد تحدى الله المفترين على الرسول بأن كلامه باطل بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل، فإعجاز هذه الرسالة وعظمتها في اللغة التي نزلت بها، وقد خلا القرآن الكريم من العجمة كما بينه الله تعالى في قوله: "ولقد نعلم أنهم يقولون أنّما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين"[النحل– الآية: 103].

وهذه الآية تبين تعنت الكفار في دين الإسلام وإنكارهم لما فيه، كيف يكون تعلمه من ذلك البشر، مع أن ذلك البشر أعجمي اللسان وهذا القرآن عربي مبين فصيح، كما تبين شدة تعنتهم أيضا في أن لو كان هذا القرآن أعجميا لحادوا إلى القول بأن كلام هذا الكتاب أعجمي ونزل على رسول عربي، ذلك ما بينه الله تعالى في قوله: " ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي" [فصلت– الآية: 44].

وقد انسجم القرآن الكريم مع التركيب النحوي للغة العربية، وقواعدها وهذا دليل على رقي اللغة التي تكلموا بها قبل نزول الوحي وفصاحة كلامهم وبلاغته، وقد اجمع العلماء على أن هذا الكتاب بلغ ذروة البلاغة مما استحق به أن يكون معجزة البيان العربي.[2]

---

[1] تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ، 1999م، الرياض-المملكة العربية السعودية، ج6، ص: 162

[2] إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 1461هـ، 2000م، ص: 255

قال الحجاج: "القرآن الكريم محكم لا لحن فيه ليس يتلكم العرب بأجود منه في الأعراب"[1]

قال الرازي في تفسيره: "إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن أولى، وكثيرا ما نرى النحويين مخيرين في تقدير الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، فإذا اشتهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم، فإذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلا على صحته فأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحته أولى".[2]

وقد ذكر بعض العلماء أن القرآن الكريم احتوى على بعض الكلمات الأعجمية، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، والصواب في ذلك أن تلك الألفاظ عُرّبت ضمن تفعيلة العرب، وأصبحت عربية لأنه من خصائص اللغة العربية أنها قادرة على التوسع والانتشار، أيّ لها القدرة على التوسع في المعاني والمصطلحات، وذلك ما ثبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كون القرآن نزل على سبعة أحرف عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف".[3]

وروي أيضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: مررت بهشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت قراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة، فنظرت حتى سلّم، لببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي تقرؤها؟، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلت له:كذبت، فوالله إن النبي صلى الله عليه وسلم، لهو أقرأني هذه السورة التي تقرؤها، قال: فانطلقت أقوده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني

---

[1] اللغة والنحو، دراسة تاريخية وتحليلية مقارنة، حسن عون، ط1، مطبعة روايال، الاسكندرية-مصر، ص: 107

[2] مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ط1، التزام عبد الرحمن محمد، القاهرة-مصر، د ت، ج3، ص: 193

[3] رواه البخاري برقم: 3047

سورة الفرقان ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أرسله يا عمر، أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: إقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا منه ما تيسَّر".[1]

والأحاديث في ذلك كثيرة، إذ وقع الاختلاف كثيرا حول القراءات، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفصل في الأمر –كلما رُدّ إليه– بما تطرقنا إليه في هذين الحديثين.

لقد جاء في كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية بأن في القرآن الكريم لا توجد لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلاّ من لسان آخر، فتلك الألفاظ إنما هي قد عربت بعد أن اقتبستها العرب التي نزل القرآن بلسانها من مخالطاتها التجارية لرحلتي قريش، فقد علمت العرب هذه الألفاظ الأعجمية، وغيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، وقد تداولتها في حديثها وأشعارها حتى اندمجت مع اللغة العربية الصريحة فحقيقة هذه الألفاظ أعجمي إلاّ أنها عربت فهي عربية بهذا الوجه إذن.[2]

وقد أفرد الإمام أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت450هـ) للمعرب عامة كتابه "المعرب من الكلام الأعجمي" وتحدث فيه عن الكلمات التي قيل أنها من لغات أخرى، وجعل الإمام السيوطي كتابه "المهذب فيما وقع في القرآن المعرب" لهذا الموضوع، وكذلك فعل غيرهما ممن تطرقوا إلى هذا الموضوع سواء من خصصوا له كتبا أو أبوابا، خلصوا إلى أن في القرآن الكريم حروفا بغير لسان العرب في الأصل ثم لفظت بها العرب فعربتها، فصارت عربية بتعريبها إياها، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل، فهذا القول يصدق الفريق القائل

---

[1] أنظر: الحديث في صحيح البخاري رقم: 4992 وصحيح مسلم رقم: 818

[2] أنوار المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالة الفاروق وغيره، ط2، دار الخير، دمشق-سوريا، 1468هـ، 2007م، ص: 42-43

بأن في القرآن غير العربي من الألفاظ والقائل بعربية القرآن نافيا تواجد الأعجمي من الألفاظ فيه فكلا القولين صحيح[1].

ومنه فإن الأدلة القطعية قد ثبت في آيات القرآن الكريم الدالة على عربيته كسورة يوسف، قال تعالى: "ألر تلك آيات الكتاب المبين (1) إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" [يوسف- الآية: 1-2]، وسورة فصلت، قال الله تعالى: "تنزيل من الرحمن الرحيم(2) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون(3)" [فصلت- الآية: 3-2]، وغيرها من الآيات كثير، وما ظهر من اختلاف لاشتمال القرآن على بعض الكلمات الأعجمية التي عربت ليس بحجة.

قال الإمام الشافعي في كتابه الرسالة: "ومن جماع علم كتاب الله: العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب،.. فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلاّ من حيث علموا، وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى منه، وأقرب من السلامة له، فقال قائل منهم: أن في القرآن الكريم عربيا وأعجميا، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلاّ بلسان العرب.[2]

فالقرآن إذا لا يخرج في جملته وتفصيله عن اللغة العربية.

---

[1] أنظر: كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، أبي الفرج بن الجوزي، تحقيق حسن ضياء الدين عنتر، ط1، 1408 هـ، 1987 م، دار البشائر الإصلاحية، بيروت- لبنان، ص: 341-342

[2] أنظر الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د ت، ص: 40-42

جـ) فضل القرآن الكريم على اللغة العربية ومكانتها به:

لم يكن للغة شأن يذكر في التاريخ بسبب ارتباطها بقوم مغمورين في صحراء الجزيرة وعلى بعض أطرافها وكانت تسودهم البداوة والبساطة وتحكمهم العداوة والحروب، ولم يكن للعرب ما يسايرون به الفرس والروم من العمارة والعلوم والفلسفة حتى جاء القرآن الكريم فقلّب الأمور كلها، وساد العرب والمسلمون العالم، وخرجت اللغة العربية من دوامة اختلاف اللهجات والتنابز بالأشعار إلى التأليف في علوم الدين بداية ثم علوم الدنيا بأنواعها، يقول موسى إبراهيم: إن للقرآن فضلا كبيرا على اللغة العربية فهو روحها التي تحيا به ولولاه لذابت وانمحت كما ذاب غيرها من اللغات الكثيرة.[1]

وقد حصر موسى إبراهيم فضل القرآن الكريم على اللغة العربية في أربعة محاور هامة:

أولها: توحيد لهجات العرب التي كانت متباينة وبعضها شديد الاختلاف وكان القرآن هو المحور الذي توحدت حوله لهجات العرب وصارت متقاربة.[2]

ثانيها: تهذيب القرآن للغة العربية إذ كان له بالغ الأثر في تجميل هذه اللغة التي كانت مليئة بالكلمات الوحشية والغريبة التي ينفر منها الذوق السليم ويحتاج في فهمها بحث مضمن، وكان مجيء القرآن الكريم ماحيا لهذا النوع من الكلمات وتحول الناس عنها إلى أساليب القرآن الكريم ولكلماته.

ثالثا: كان العلماء الذين أصّلوا اللغة العربية وقعوا لها هو أهل التفسير والفقه وكان انطلاقهم في اتخاذ القواعد من القرآن الكريم، لأن هدفهم كان الحفاظ على لغة هذا الكتاب الذي تتبني عليه حياتهم كلها، وخير الأدلة على هذه النقطة امتلاء كتب اللغة بالشواهد في مختلف مسائل اللغة العربية.

---

[1] بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى إبراهيم الإبراهيم، ص: 11

[2] أنظر كذلك: محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، عمان- الأردن، 1423 هـ، 2003م، ص: 42-43

رابعا: مثّل القرآن الكريم المثل الأعلى والنموذج الأسمى للبلاغة العربية التي كانت تتخبط في عناد القبائل وإدّعاء كل منها امتلاك ناصية البلاغة وصفاء لهجاتها، وكان القرآن منهيا لهذا الصراع فصار هو المثل الأعلى للفصاحة والبلاغة.[1]

ولا مجال لإنكار فضل القرآن الكريم إذ يقول محمد الصباغ بعد أن ذكر واقع العرب والمسلمين خلال تاريخهم "ولو أن هذا الذي ذكرناه حدث في أمة لذهب ريحها ولانقرضت لغتها، ولكن هذا القرآن الكريم بقي الحارس الأمين الذي حفظ على هذه الأمة كيانها ومقومات وجودها وذاتيتها وحمى لغتها من الضياع ولولاه لانقرضت العربية وذابت خلال هاتيك الكوارث التي غشت هذه البلاد وسكانها أوقات طويلة.[2]

وليس الفضل على العربية للقرآن وحده بل للإسلام جميعه، قال محمد الخضر حسين: طلع الإسلام على العرب وفي هدايته من المعاني ما لم يكونوا يعلمون، بل في هدايته لم تف اللغة يومئذ بالدلالة عليه فعبر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة نماء، ومن الجلي أن القرآن الكريم والحديث النبوي قد سلكا في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ، ثم إن فتح الممالك الكبير كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة بسطة، بما نقل إليها من المعاني العلمية أو المدنية ففضل الإسلام على العربية يظهر في غزارة مادتها وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها وكثرة الأغراض التي تسابق إليها فرسان الخطابة والكتابة.[3]

يقول الرافعي في فضل القرآن على العربية: "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيرة معا فكان أشبه شيء بالنور في جملة منسقة،.. وإنما كان ذلك لأنه صفى اللغة من أكدارها وأجرها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء لها في ماء الجمال أملا من السحاب، وفي طراء الخلق أجمل من الشباب،.. فقد أظهرها مظهرا لا يقضى العجب منه أنه جلاّها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته...[4]

---

[1] بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى إبراهيم الإبراهيم، ص: 11-13

[2] لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطيف الصباغ، ط3، المكتبة الإسلامية، بيروت- لبنان، 1410 هـ، 1990م، ص:28

[3] دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، ط2، المكتبة الإسلامية ومكتبة دار الفتح، دمشق- سوريا، 1380هـ، 1960م، ص:17

[4] تاريخ آداب اللغة العربية، مصطفى صادق الرافعي، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1421هـ، 2000م، ص:

ولم يشهد لفضل القرآن على لغة العرب من هم من العرب فقط، بل شهد بذلك الكثيرون الذين حيرتهم قوة هذه اللغة وضخامة صداها وأثرها في تاريخ كل الأمم تقريبا، يقول ارنست رينان: "من أغرب ما دفع في تاريخ البشر وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة إلى غاية الكمال سلسلة أيّ سلالة غنية أي غنى، كاملة بحث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل منهم"[1].

ومما حيّر العلماء كذلك تاريخ هذه اللغة التي يعود بها بعضهم إلى عهد سيدنا آدم عليه السلام، قال ارنست رينان: "فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل".[2]

إلاّ أنه من الظاهر فإن رينان أهمل جانب تكوين هذه اللغة وانغمس في مدى ما هي عليه الآن من كمال مهملا ما كانت عليه قبل مجيء القرآن الكريم من إفلاس وتشتت، وليس القول بفخامة اللغة في ذاتها بل بفخامة ذات اللغة في قرآنها، وذلك هو الشأن العظيم الذي أفضى عليها ما وصفها به رينان وغيره.

وقد أورد ابن فارس في كتابه الصحابي بما سماه (باب الأسباب الإسلامية)، ومما جاء فيه: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم ولغاتهم ونسائهم وقرابينهم، فلما بعث الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، واجتهد الناس في دين الله عز وجل، فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشئوا عليه كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة، وتأويل الوحي بما دوّن وحفظ حتى الآن.[3]

---

[1] منتديات الإبداع الأدبي، واحة الأدب تأملات في لغتنا العربية www.suwaidan.com بتاريخ: 2011/09/12 الساعة: 15:05

[2] المرجع السابق

[3] الصحابي في فقه اللغة العربية، ص: 44

فارتباط اللغة العربية بالقرآن جعل لها ظرفا خاصا لم يتح لأي لغة من اللغات، كما قال رمضان عبد النواب في كتابه فصول في فقه اللغة "غير أن للعربية الفصحى ظرف لم يتوفر لأي لغة من لغات العالم، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن الكريم أربعة عشر قرنا ودوّن بها التراث العربي القديم الذي كان محوره هو القرآن في كثير من مظاهره، ولد كفل الله لها الحفظ ما دام يحتفظ بدينه، قوله عز وجل: إناّ نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[الحجر – الآية: 09].[1]

فكان للعربية هذا الشأن العظيم صيرها بوابة لمن أراد لهذا الدين وعلومه سبيلا، يقول ابن القيم: "وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرب علم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان،.."[2]

فلا سبيل لمعرفة إعجاز القرآن إلا عن طريق إدراك معالم هذه اللغة والإحاطة باللسان العربي.

يقول القاضي الباقلاني: "قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية عن العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن .."[3]

إلا أن معرفة العربية دون التمكن منها وبلوغ حد الفصاحة الذي يتناهى إلى معرفة أساليب العرب، ووجوه تصرف اللغة وبلاغة ألفاظها يبقيك على حال الأعجمي، فهذا القرآن المجيد يحتاج إلى معرفة دقيقة بلغة العرب حتى يقهم على نحوه الذي يؤول إليه، وحتى تتدارك الأمم معالمه الصحيحة كاملة غير ذي عوج.

ولقد كان الشافعي وجّه المسلم أن يتعلم من لسان العرب ما أمكنه جهده، وأنه ما ازداد أحد بعلم العربية إلاّ وكان له خيرا في الدنيا والآخرة.

---

[1] فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب، ط6،مكتبة الخابقي، 1420هـ، 1999م، القاهرة- مصر، ص: 414

[2] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، أبي عبد الله محمد (ابن القيم الجوزية)، تحقيق بدر الدين النعساني، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1327هـ، ص: 07

[3] إعجاز القرآن، أبي البكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق أحمد صقر، د ط، دار المعارف، مصر، دت، ص: 171

قال: "... فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلاّ الله وأن محمد عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك".[1]

ولعل أعظم قول أظهر مكانة العربية من الإسلام قول شيخ الإسلام إبن تيمية: "إن نفس اللغة من الدين، ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلاّ بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلاّ به واجب"[2].

د) نشأة علوم اللغة العربية بناء على القرآن:

يتفق الدارسون في أن الدافع الأساسي لنشأة علوم اللغة العربية، وعلى رأسها النحو، هو حفظ القرآن الكريم من اللحن والتحريف، وقد كان النحو أكثر ما ركز عليه علماء اللغة في كتاباتهم، يقول عبد العال سالم مكرم: "ونشأة النحو العربي مرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، ولولا أن القرآن لما نشأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كل علم من علوم اللغة العربية وآدابها، ومن أهم الأسباب التي جعلت أولى الأمر من المسلمين وعلمائهم يفكرون في وضع اللبنة الأولى في صرح هذا العم اللحنٌ في القرآن".[3]

وقد كثرت الروايات في ذكر البداية الأولى لنشأة النحو فمن الرواة من ينسبها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنهم من ينسبها إلى علي بين أبي طالب وأبي الأسود الدولي، ومن منهم من يفرد أبا الأسود بوضعه، ومن الرواة من نسبها إلى عبد الرحمان بن هرمز، وآخرون إلى نصر بن عاصم، وغير ذلك من الأقوال على ترجيح القول بنسبها إلى ابن الأسود الدؤلي.[4]

---

[1] الرسالة للشافعي، ص: 48

[2] إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، د ط، مكتبة الرشد، الرياض- المملكة العربية السعودية، م1، ص: 207

[3] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ط2، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، 1978م، ص:45

[4] أنظر التفصيل في المرجع نفسه، ص: 49-57

وتحدث عبد الجليل منقور عن نشأة علم الدلالة فقال: "كان المفكرون قد خصصوا للبحوث اللغوية حيزا واسعا في إنتاجهم الموسوعي الذي يضم –إلى جانب العلوم النظرية كالمنطق والفلسفة– علوما لغوية قد مست كل جوانب الفكر عندهم، سواء أتعلق الأمر بالعلوم الشرعية كالفقه والحديث، أو علوم العربية كالنحو والصرف، بل إنهم كانوا يعدّون علوم العربية نفسها، وتعلمها من المفاتيح الضرورية للتبحر في فهم العلوم الشرعية،... ولما كانت علوم الدين تهدي إلى استنباط الأحكام الفقهية ووضع القواعد الأصولية للفقه، اهتم العلماء بدلالة الألفاظ والتركيب وتوسعوا في فهم معاني نصوص القرآن والحديث".[1]

وأشار محمد إبراهيم الحمد إلى ارتباط فقه اللغة بالعلوم الشرعية عموما ومنها القرآن وعلومه قائلا: "ومن العلوم التي لها رابطة وعلاقة بفقة اللغة ما يلي: "... علاقة فقه اللغة بالعلوم الشرعية عموما كعلم الحديث وعلم التفسير وعلوم القرآن وعلم العقيدة، وعلم الفقه وغيرها من علوم الشريعة فإن لها ارتباطا وثيقا بفقه اللغة، من حيث دلالة الألفاظ ومعرفة الغريب...."[2]

وقد اقتصرنا على الإشارة لهذه العلوم فقط لأننا سنفردها بتفصيل دقيق بما سنتطرق له في الفصل التطبيقي من بحثنا هذا.

هـ) نشأة علوم القرآن باللغة العربية:

ذكرنا من فضل كتاب الله عز وجل على اللغة العربية أن اغتنى هذا اللسان من القرآن في أساليبه ومفرداته التي اكتسب كثير منها معاني جديدة فوق معانيها الأصلية، كالصلاة والصوم والحج والزكاة ونحو ذلك، ولقد أخذت العربية تتسع كإتساع الكون في مفرداتها وأساليبها وظواهرها الغنية ببركة القرآن الكريم من طريق علومه خاصة وعلوم الدين عامة، كأصول الفقه،

---

[1] علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منصور عبد الجليل، د ط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 2001م، ص: 16

[2] فقه اللغة، مفهومه، موضوعاته، قضياه، محمد إبراهيم الحمد، ط1، دار ابن خزيمة، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1426 هـ، 2005م، ص: 31

والفقه والفرائض وغيرها، ولقد نالت اللغة العربية فضلا عظيما من علوم القرآن الكريم التي نشأت منذ بدء تنزله على الرسول صلى الله عليه وسلم في أشكال بسيطة

ومتدرجة ظهرت مع حاجة الصحابة إلى فهم بعض أحكام القرآن الكريم وبدء جمعهم له في المصاحف[1]، وكان اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم واضحا من خلال عنايتهم بحفظ القرآن وتتبع نزوله ومعرفة مكية ومدنية وناسخة ومنسوخة وقراءاته وغيرها.

وقد ظهر اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان أهمية الإعتناء بكتاب الله وعلومه، إذ كان يعقد المجالس لمذاكرته مع أصحابه وحثهم على تعلمه وتعليمه، قال عليه الصلاة والسلام: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[2]، وحرص عليه الصلاة والسلام على تكوين المفسرين فها هو يدعو لابن عباس تفقهه في الدين والتمكن من التغيير، قال ابن عباس: ضمني النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم علمه الحكمة"[3] وفي حديث آخر قال عنه صلى الله عليه وسلم: "اللهم فقهه في الدين"[4]، وفي رواية للبخاري: "وعلمه الكتاب"[5]

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه تلاوة القرآن وأحكامه وعلومه، من الحلال والحرام والناسخ والمنسوخ والأحرف السبعة، وكان يفسر لهم ما أشكل عليهم، روى البخاري عن ابن عباس قال:(لما نزلت" الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" [الأنعام– الآية: 82] قلنا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال "ليس كما تقولون (لم يلبسوا إيمانهم بظلم) بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه (يا بني لا تشرك إن الشرك لظلم عظيم[لقمان– الآية: 13][6].

---

[1] المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، ط2، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة- المملكة العربية السعودية، 1429هـ، 2008م، ص: 29

[2] صحيح البخاري برقم: 5027

[3] صحيح البخاري برقم: 3756

[4] صحيح البخاري برقم:143، ومسلم برقم: 2477

[5] صحيح البخاري برقم: 3756 و7270

[6] صحيح البخاري برقم: 3360

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام دأب الصحابة رضوان الله عليهم على جمع القرآن الكريم في مصحف واحد، فكان الجمع الأول في عهد أبي بكر الصديق، ثم الجمع الثاني في عهد عثمان بن عفان الذي دفع عن المسلمين بلية الاختلاف في كتاب الله عز وجل[1]، وجاء الاهتمام بعد ذلك برسم المصحف وشكله ونقطه وأعداد آياته وأجزائه وأقسامه.. [2] وتزامن مع ذلك كله تطور علم التفسير فنبغ من الرعيل الأول الخلفاء الراشدون وابن مسعود وابن عباس وأبيٌّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن زبير وغيرهم، ثم جاء التابعون على رأسهم مجاهد وعطاء بن أبي رباح وطاووس وأبو الشعثاء وزيد بن أسلم وغيرهم[3]، ثم تطور التفسير بعد ذلك وتنوعت مشاربه وظهرت التفاسير السنية والصوفية واللغوية والإشارية وغيرهما مما يأتي بيانه في موضعه من هذه الرسالة.

وبدأت تتضاعف المؤلفات في مختلف علوم القرآن الكريم فهذا أبو عبيد القاسم بن سلام يكتب كتابا في "الناسخ والمنسوخ" في القرن الثالث الهجري، وعلي بن المدني يكتب "أسباب النزول"، وأبو بكر السجستاني يؤلف "غريب القرآن"، وعلي بن سعيد الحوقي يكتب "إعراب القرآن" في القرن الخامس وهو الذي ظهر على يديه مصطلح "علوم القرآن" في كتابه "البرهان في علوم القرآن"[4].

وباب الحديث في علوم القرآن التي برزت في ظل هذا الكتاب العزيز باب واسع، لتعدد المؤلفات وتنوعها، وليس مرادنا حصرها بل ما رجوناه من هذا العنصر هو بيان فضل القرآن الكريم في ظهور عشرات من العلوم باللغة العربية، التي اكتسبت قدرا لم يحصل لغيرها من اللغات ببركة القرآن الكريم.

تمهيد:

[1] المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي تحقيق طيا التي قولاج، د ط، دار صار، بيروت- لبنان، 1395هـ، 1975م، ص: 48-76

[2] محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري، ص: 82-86

[3] المرجع نفسه، ص:181

[4] الواضح في علوم القرآن، محمد ديب البغا ومحي الدين ديب متو، ط2، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية، دمشق-سوريا، 1998م، ص: 9-10

لقد حاز القرآن الكريم اهتمام المسلمين، وغير المسلمين منذ نزوله منجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد رأينا في الفصل الأول كيف أن هذا الكتاب العزيز قد تفرعت منه العلوم والمعارف في مختلف الميادين، وسنخصص الكلام والبحث في هذا الفصل الثاني في واد من أعظم العلوم وأشرفها وأنسبها للقرآن الكريم وهو التفسير، وسنحاول في هذا الجزء من البحث معرفة ماهية التفسير وأدواته وأنواعه، وأصوله، كما سنعرج للحديث عن ترجمة معاني القرآن الكريم التي هي باب من أبواب تفسيره وتبليغه للعالمين.

♣ المبحث الأول:

1- تعريف التفسير:

أ) التعريف اللغوي:

قال بن منظور في اللسان: الفسر: البيان، فسّر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم، فسرا وفسره: أبانه والتفسير مثله ... الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل... واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي، والفسر نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة، قال الجوهري: وأظنه مولدا، وقيل التفسرة البول الذي يستدل به على المرض، وينظر فيه الأطباء ويستدلون بلونه على علة العليل[1].

وجاء أيضا في المعجم الوسيط الكلام من هذا القبيل فورد فيه: فسر الشيء فسرا وضّحه ... والتفسرة: الشرح والبيان... التفسير: الشرح والبيان[2].

ب) التعريف الاصطلاحي:

ذكر أبو حيان التوحيدي في مقدمته تفسير الذي عنوانه (تفسير البحر المحيط) قال: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك.

فقولنا: علم هو جنس يشمل سائر العلوم... وقلنا: **يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات** ... وقولنا: **ومدلولاتها** أي مدلولات تلك الألفاظ ... وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم .. وقولنا: **وأحكامها الإفرادية والتركيبية** هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان وعلم البديع ومعانيها التي تحمل بها حالة التركيب –شمل بقوله– التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالة عليه بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صادّ، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على

---

[1] لسان العرب، مادة (فسر)

[2] المعجم الوسيط، مادة (فسر)

غيره الظاهر وهو المجاز، وقونا **وتتمات ذلك:** هو معرفة النسخ، وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أنبهم في القرآن ونحو ذلك.[1]

وهذا التعريف كما نرى جامع مانع وجمل ما ذكر من التعاريف الأخرى للتفسير، ومن أمثال هذا أو قريب منه مثل تعريف **الماتريدي** الذي نقله السيوطي في كتابه التحبير في علم التفسير قال: وقال الماتريدي: التفسير القطع عن أن المراد من اللفظ والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلاّ فتفسير بالرأي وهو المنهى عنه..."[2].

2- <u>الفرق بين التفسير والتأويل:</u>

إن الدارس لمواضيع التفسير وعلومه لا ينفك يلقى لفظة تستعمل في الغالب بمعنى التفسير، وهي التأويل، ولا بدّ من التحقيق في اللفظة إن كانت بمعنى التفسير فتصبح بدلا عنه في كل المواضع أم تختلف عنه، فيكون لها استعمالها الذي يميزها عن استعمال التفسير، وكما صنعنا في شأن التفسير، لا بدّ أن نعرف التأويل لغة واصطلاحا.

فنقول التأويل كما جاء في لسان العرب، قال ابن منظور: أوله وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره، وقوله عز وجل: "ولماَّ يَأتهم تأويله" [يونس- الآية: 39]، أي لم يكن معهم تأويله وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه ... قال ابن الأثير هو من آل الشيء يؤول إلى كذا، أي رجع وصار إليه، والمراد بالتأويل: نقل اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.[3]

أمّا اصطلاحا، فجاء في مقدمة تحقيق تفسير البحر المحيط قول المحقق: "والتأويل في الاصطلاح له معنييّن عند السلف: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، أو

---

[1] تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الوجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1413هـ، 1993م، ج1، ص: 121

[2] التحبير في علم التفسير، السيوطي، تحقيق فتحي عبد القادر فريد، ط1، دار العلوم، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1402هـ، 1982م، ص:38

[3] لسان العرب، مادة (أول)

هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الشيء المخبر به[1]، أما عند المتأخرين فمعناه صرف اللفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح بدليل يقترن به.[2]

أماّ في مسألة الفرق بين التفسير والتأويل، فلقد ذهب العلماء في ذلك مذهبين، مذهب قال فيه بعض العلماء بانعدام الفرق بينهما، ومذهب فرق فيه أهل العلم بين هذين اللفظين.

أماّ عن أصحاب المذهب الأول فأبو عبد القاسم بن سلام قال: هما بمعنى واحد.[3] ومنهم أيضا أبو العباس أحمد بن يحي، قال ابن منظور في اللسان: فسئل أبو العباس أحمد بن يحي فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد[4].

وكان أبو عبيدة معمر بن المثني يرى كذلك أن التأويل بمعنى التفسير، ونقل عليه قوله: "التأويل" التفسير والمرجع والمصدر...[5].

وذكرنا أن فريقا آخر سلك مسلك التفريق بين التفسير والتأويل إلاّ أن أصحابه انقسموا من حيث طبيعة هذا الفرق فقال قوم أن الفرق بينهما أنّ التفسير أهم من التأويل، وأكثر استعمالا في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، وأمّا التفسير فيستعمل فيها وفي غيرها[6]

وقد حشد في الإتقان طائفة من أقوال المفرقين بين التفسير والتأويل مها قول أبي منصور الماتريدي: "التفسير" القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله"[1].

---

[1] الصواب ألاّ يقال: نفس المراد بالكلام ونفس الشيء المخبر به، بل الصحيح أن يقال المراد بالكلام نفسه، والشيء المخبر به نفسه لأن المعلوم بلا خلاف عند أهل اللغة أن التوكيد المحتوى "بنفس" و"ذات" يأتي بعد الشيء المؤكد.

[2] تفسير البحر المحيط أنظر مقدمة التحقيق، ص: 12

[3] المصدر السابق، ص: 13

[4] لسان العرب مادة (فسر)

[5] أنظر علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، عدنان محمد زرزور، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1401هـ، 1981م، ص: 401

[6] تفسير البحر المحيط (المقدمة)، ص: 12

[1] أنظر الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، د ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ، المدينة المنورة، ص: 2262

وقول أبو طالب الثعلبي: "التفسير بيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبارا عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف.."[2].

وقال قوم: "ما وقع بينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا، لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد، لا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب، الماهرون في آلات العلوم.[3]

وقد جاء في البرهان في علوم القرآن القول عن الفرق بين التفسير والتأويل، على أن الفرق بين التفسير كشف للمعنى وبيان للمراد من حيث دلالة اللفظ والجملة كما ورد، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، كالبحيرة والسائبة والوصيلة، أو في وجيز مبين يشرح كقوله: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين" [البقرة– الآية: 43]، وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلاّ بمعرفتها كقوله: "نما النسيء زيادة في الكفر" [التوبة– الآية: 37]، وقوله: "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهروها" [البقرة– الآية: 189].[4]
والتأويل الكشف عند انغلاق المعنى، والاستنباط مع الدراية.

وقال البغوي في مقدمة تفسيره: إنما التفسير وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها، وقصتها فلا يجوز إلاّ بالسماع بعد ثبوته عن طريق النقل، ونقل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن سلم عن النبي (ص) أنه قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع"[1].

---

[2] المرجع نفسه، الصفة نفسها
[3] المرجع نفسه، ص: 2264
[4] البرهان في علوم القرآن بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مكتبة دار التراث، القاهرة- مصر، 1404هـ، 1984م، ج2، ص: 149
[1] الحديث حكم عليه الشيخ الألباني بالضعف وأورده في كتابه: ضعيف الجامع الصغير، طبعة المكتب الإسلامي، برقم: 1338

واختلفوا في تأويله قيل: الظهر لفظ القرآن، والبطن تأويله، وقيل الظهر ما حدث من أقوام أنهم عصوا فعوقبوا، فهو الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعوا فيحل به ما حلّ بهم، وقال: وقوله لكل حرف حد أراد له حد في التلاوة والتفسير لا يجاوز، ففي التلاوة لا يجاوز المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع، وقوله لكل حد مطلع أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، ويقال: المطلع الفهم، وقد يفتح الله على المدبر والمتفكر في التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره.[2]

فكل ما نقلناه عن إشكالية الفرق التفسير والتأويل، يبين وجود الفرق دون الاستقامة على تعاريف واحدة، فكل يرى ما لا يراه الآخر.

على أني أرى أن ابن تيمية قد رجح بينهما قائلا: "وأما التأويل، بمعنى صرف اللفظ عن مفهومه إلى غير مفهومه، فهذا لم يكن المراد بلفظ التأويل في كلام السلف، اللهم إلاّ أنه إذا علم أن المتكلم أراد المعنى الذي يقال أنه خلاف الظاهر جعلوه من التأويل الذي هو التفسير، لكونه تفسيرا للكلام وبيانا لمراد المتكلم به، أو جعلوه من النوع الآخر الذي هو الحقيقة الثابتة في نفس الأمر الذي استأثر الله بعلمها، لا لكونه مخالفا للظاهر.

وكان السلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله ورسوله التي هي من نوع تحريف الكلم عن مواضعه فكانوا يذكرون التأويل الباطل الذي هو التفسير الباطل، كما نذكر قول من فسر كلام المتكلم بخلاف مراده"[3].

---

[2] تفسير البغوي "معالم التنزيل"، ص: 46-47

[3]

♣ المبحث الثاني: وجوه التفسير وحكمها

بيان نص القرآن بالتفسير أنواع، قال ابن عباس: "التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ الله"[1].

وبيان هذا القول:

1- التفسير الذي تعرفه العرب من كلامها:

كون القرآن نزل في قوم أتقنوا لغته وفقهوها، فمعرفتهم بمعاني الألفاظ وإلمامهم بالتركيب يسرّ عليهم فهم معانيه.

قال ابن جرير: "إما بالشواهد من أشعارهم السائدة، وإما من نطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة"[2]، وهو مشترط بأن لا يكون خارجا عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة.

2- التفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته:

من التفسير ما هو بين بنفسه يفهمه العامة من القوم دون الحاجة إلى تفسيره، والأصل في القرآن بين واضح، وإن تعذر بعضه لحكمة ربانية، فجلّ ما أنزله إليه في كتابه يسر فهمه على عباده رحمة منه أدركه كل من تدبّر القرآن، قال سبحانه وتعالى: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب"[ص- الآية: 29]، وقوله تعالى: " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"[محمد- الآية: 24]، وقوله: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر"[القمر- الآية: 17].

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م، ج1، ص: 75

[2] المرجع السابق، ج1، ص: 93

3- التفسير الذي يعلمه العلماء:

أصل هذا قوله تعالى: "وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة لتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" [االتوبة- الآية: 122].

فقد خصّ الله بعضا من عباده وفضلهم أن يسّر لهم فهم ما تعذر على العامّة فهمه من القرآن الكريم، يتدبرون معانيه مستنبطين الأفكار والدلالات الشرعية التي سنها الله في كتابه وأخذ الله منهم ميثاقا في بيان هذا العلم كما في قوله سبحانه وتعالى: "وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه" [آل عمران- الآية: 187] مستندين في أحكامهم إلى سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما إستأثره الصحابة.

4- التفسير الذي لا يعلمه إلاّ الله:

وهو ما أشكل على العلماء تفسيره، ولو اجتمع العلماء كلهم واجتهدوا ما ثبتوا فيه على بيان وتأويل، ذلك ما جعله الله في قرآنه من متشابه مثل ما أخبر الله عنه من الغيوب، ووصفه لنفسه عز وجل بصفات أدركت معانيها ودلالاتها إلاّ أنه تعذر تصورها وأعجز الإخبار عن حقيقتها قوله سبحانه وتعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" [الشورى- الآية: 11].

ومثل ذلك تفسير وقت قيام الساعة، وظهور علامتها، ويصير بالبعض إلى الخروج عن الصراط المستقيم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الأمر في قوله: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلاّ أولوا الألباب"[آل عمران- الآية: 07].

وهذا الباب فيه وجهان:

- الرحمة بالعباد بإخفاء أمور من الغيب لو اطلعوا عليها لفزعوا كأمر الساعة.
- التعجيز للخلق ببيان قصورهم عن إدراك بعض الأحوال إمعانا في تأكيد ضعفهم وحاجتهم إلى الله تعالى في كل حال.

♣ المبحث الثالث:

مناهج التفسير:

يتبع العلماء في تفسير القرآن منهجين يسلكون في كل منهما طرقا عديدة للوصول إلى المراد من القول وبيانه، أول هذه المناهج وأصحّها هو التفسير بالمأثور، ثم يليه التفسير بالرأي.

- أما التفسير بالمأثور فهو من عمد فيه العلماء إلى تفسير القرآن بالطرق التالية:

أ) تفسير القرآن بالقرآن:

قال بن تيمية رحمه الله: أصحّ طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فصل في موضع آخر وما اختصر في فكان فقد بسط في موضع آخر... [1]

ولنا أن نستطرد في تفسير القرآن بالقرآن لنبين مسلك العلماء فيه.

أولا: أن يكون تفسير القرآن بالقرآن واضحا جليا لا يمكن أن يكون فيه اختلاف، ومن أمثلة ذلك ما يكون على طريقة السؤال والجواب، أو على طريقة ذر الموصوف وإتباعه بأوصافه.

ومثال السؤال والجواب قوله تعالى: "والسماء والطارق (1) وما أدراك ما الطارق (2) النجم الثاقب (3)" [الطارق- الآية: 1-3]، فتفسير الطارق بالنجم الثاقب لا خلاف فيه، ولا يمكن أن يكون الاختلاف في معنى "النجم الثاقب" ينفي كونه هو "الطارق".

ومن أمثلة إتباع الموصوف بأوصافه قول الله تعالى: "لا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (62) الذين آمنوا وكانوا يتقون (63)" [يونس- الآية: 62-63].

وأغلب ما نلاحظه تتابع هذا النوع مثل ما ذكرناه في الآيتين السابقتين، إلاّ أن في بعض المواضع لم يأت القول تابعا بعضه لبعض مثل تفسير "الذين أنعمت عليهم" [الفاتحة- الآية:

---

[1] شرح مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، شرح ساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1428هـ، ص: 296

07]، بقوله تعالى: "فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" [النساء- الآية: 69].

ومثل قوله تعالى: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم" [المائدة- الآية: 01] فسر (ما يتلى) بقوله تعالى: "ما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله" [البقرة- الآية: 173]، وقوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلاّ ما ذكيتم وما ذبح على النصب" [المائدة- الآية: 03].

ثانيا: أن يكون تفسير القرآن بالقرآن غامضا لا يدركه كل أحد كتفسير قوله تعالى: "أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" [الأنبياء- الآية: 30] بقوله تعالى: "والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع" [الطارق- الآية: 11-12]، وهذا الأمر يدخله اجتهاد المفسر معتمدا وساطة تكون بين الآيتين لتكون آية مفسرة لتكون آية مفسرة لأخرى.

فقد فسر الرتق بعدم إنزال المطر من السماء، وعدم الإنبات من الأرض، وفسر الفتق بإنزال الماء من السماء، وإخراج النبات من الأرض.

وجعل هذا المعنى للرتق والفتق مدلولا للرجع والصدع في آيتين لسورة الطارق، وهذا دليل على عدم التوصل أحيانا إلى تفسير آية بآية إلاّ بالاجتهاد المبني على أسس ومنهجية صائبة، والعامة من الناس لا يصلون إلى حمل الآية التي في سورة الأنبياء إلى آيتي الطارق لاختلاف ظاهر المعنى وعجم تطابق الألفاظ[1].

ثالثا: لقد عمد إلى تفسير القرآن بالقرآن أهل به بين البدع كذلك معنى آية على آية أخرى، وهو ظاهرة تفسير القرآن بالقرآن إلاّ أنه مبني على ما فقهوه معتقدين في ذلك الشبه بين الآيتين

[1] أنظر المرجع السابق، ص: 276

والارتباط بينهما بما يحتاج إلى بعض الاجتهاد للإجابة عنه، غير أنهم يزيغون في ذلك ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم" [هود- الآية: 34].

فتفسير الآية أن الله إن كان يريد عذابكم فلن ينفعكم نصحي، والعذاب هو الغيّ، مثل قوله تعالى: "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا" [مريم- الآية: 59] أي عذابا...

فحملهم معنى "الغي" على "يغويكم" تفسير ظاهره تفسير القرآن بالقرآن لكنه باطل وتحريف ظاهر بسبب شبهة عقلية اعتزالية، فلا يجوز الإغواء على الله سبحانه وتعالى عند المعتزلة لأنه فعل قبيح، والله لا يفعل القبيح، فحملهم "يغويكم" على معنى العذاب، بل هو بمعنى الإضلال مستشهدين في ذلك بكلمة الغي تأويل فاسد في قوله: "فسوف يلقون غيا" [مريم- الآية: 59]، وهذا لا شك تفسير غير صحيح، ومثله لا يقبل ولا يدخل في سياق تفسير القرآن بالقرآن.

ولعل هذه الأمور الثلاثة أهم ما يعنى به الدارس لتفسير القرآن بالقرآن.

ب) تفسير القرآن بالسنة:

قال ابن تيمية: "فإن لم تجده[1] ففي السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له..."

قال الطبري في تفسيره: فإذا كان ذلك كذلك، فأحق المفسرين بإصابة الحق -في تأويل القرآن إلى علم تأويله للعباد السبيل- أوضحهم حجة فيما تأوّل وفسّر، مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه: إما من جهة النقل المستفيض، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض، وإمّا من جهة نقل العدول الاثبات، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته[1].

---

[1] أي تفسير القرآن بالقرآن

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م، (في مقدمة المصنف)، ج1، ص: 93

فالسنة هي المصدر الثاني الذي يرجع إليه في تفسير القرآن، إذ هي شارحة له موضحة شرع الله في كتابه فيما تعذر بالقرآن بالقرآن، فقد سنه نبي الله صلوات الله عليه فيما أفتاه بوحي من الله من سنة قولية وفعلية وتقريرية، وأغلب ذلك في الأحكام العملية من الجهة التفصيلية.

قال الطبري: "فقد تبين ببيان الله جل ذكره: أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم، ما لا يوصل إلى علم تأويله ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوب أمره- واجبه وندبه وإرشاده- وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته".[2]

قال تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون" [النحل- الآية: 44] وقوله تعالى: "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" قال: "وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" [النحل- الآية: 64].

وغير ذلك من الآيات كثير التي تأمر المؤمنين بالاحتكام إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم،ولنا أن نقف على بعض ما يمكن إيضاحه فيما يخص تفسير القرآن بالسنة والتي يمكن أن تتبين أنها أنواع:

فمن السنة ما يفسر القرآن تفسيرا مباشرا غالبا ما يكون استبيان عن لفظه أو معنى أو أمر غيبي لم يظهر لهم فيه بيان قد يتطرق إليه النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة مثل قوله سبحانه وتعالى: "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" [يس- الآية: 38]،

قال أبو ذر: "كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال يا أبا ذر، أين تغيب الشمس؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: " والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم" [يس- الآية: 38][1].

---

[2] المرجع السابق، ص: 73-74

[1] أخرج البخاري برقم: 4455

وقد يكون التفسير إثر سؤال أو إشكال من الصحابة رضوان الله عليهم مثل قوله سبحانه وتعالى: "وكلو واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الأسود من الفجر" [البقرة– الآية: 187].

قال عدي بن حاتم: (قلت يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الأسود؟ أهما الخيطان؟ فال: إنك لعريض الفقا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا، بل هما سواد الليل، وبياض الفجر)[2].

ومن السنة أيضا ما يفسر القرآن من غير أن يكون بيانا مباشرا، كأن يرد في الحديث إشارة إلى المعنى الذي في الآية، أو يرد في السنة زيادة تفصيل لأمر مجمل جاء في الآية.
وتفسير القرآن يمكن أن يحمل على الاجتهاد المبني على الإلمام بالقدر الكاف من الأحاديث النبوية، وشروحها للإستشهاد مثلا على صحة تفسير من التفاسير بحديث من الأحاديث، أو ترجيع قول على قول آخر وغير ذلك كثير.

ج) تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

منزلة الصحابة في الإسلام لا يجادل فيها مؤمن، كونهم أعرف الناس بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وأحواله، وأكثر الناس دراية بالرسالة المحمدية كونهم عاشوا ما عاشه النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو الذي وكّل إليهم نشر دين الله وإعلام الناس بوحيه ووصاياه.

قال ابن تيمية: "وحينئذ إذا لم نجد تفسيرا في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التامّ والعلم الصحيح والعمل الصالح"[3].

فلما توفي الرسول(صلى الله عليه وسلم) تناقل الصحابة تفسيره بالرواية بينهم، ولقد تكلم البعض منهم بما سمعه من رسول الله، وبما أدّاه إليه اجتهاده، وقد اشتهر بالتفسير من

---

[2] أخرج البخاري برقم: 1916

[3] مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق عدنان زرزور، ط2، 1392هـ، 1982م، ص: 95

الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة[1] وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير[2]

وتفسير الصحابة ذو قيمة عالية وأهمية كبيرة بالنظر إلى مصادره القائمة على أربعة أسس:

تفسير القرآن بالقرآن وكان هذا أول ما يعود إليه الصحابة حين إرادة التفسير، فكان لا يخفى عليهم أن القرآن أصل الأصول وأن بعضه يفسر بعضا، وقد تعلموا أولوية تفسير القرآن بالقرآن من الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن ذلك ما روى البخاري ومسلم من أنه لما نزلت: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" [الأنعام- الآية: 82] شق ذلك على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لإبنه: "يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" [لقمان- الآية: 13][3]

ولقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية هذا الضرب من التفسير فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن"[4] أي فيقلبه ويبحث فيه[5].

تفسيرهم القرآن بالسنة، وهذا من باب أنهم كانوا يعايشون نزول القرآن الكريم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئهم كل آية نزلت عليه، وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذونه ويتسابقون في حفظه بل كانوا يتفاضلون فيما بينهم بالأكثر حفظا للقرآن الكريم حتى بلغ بهم الشغف أن جعلوه مهورا لنسائهم.."[6]

وكان الصحابة يفهمون القرآن الكريم بسليقتهم العربية السليمة فإذا أشكل عليهم منه شيء سألوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيجيبهم[1].

---

[1] الخلفاء الأربعة هم: أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب

[2] الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص: 233

[3] رواه البخاري برقم 13 ومسلم برقم 124

[4] البرهان في علوم القرآن الزركشي، ج2، ص: 154

[5] لسان العرب مادة "ثور"

[6] بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى إبراهيم الإبراهيمي، ط2، دار عمار، عمان-الأردن 1416هـ، 1996م، ص: 46

[1] أنظر المرجع نفسه، ص: 92

قال عبد الله الجديع: "كان الصحابة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا جاء الوحي من السماء انتظروا بيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتفسيره فيما يحتاج إلى شرحه وبيانه، وربما عمدوا التبيين منه فيما يستشكل... ولما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) بين أظهرهم، فقد كان مرجعهم في تبيين الكتاب، ولم يكونوا يصدرون عن سواه فيه فقد كفاهم"[2].

تفسيرهم القرآن بمقتضى أسباب النزول، وهذا باب عظيم في تفسير القرآن الكريم وقد فضل الله تعالى الصحابة أن جعلهم معايشين للوحي في كل مراحل نزوله، والعلم بأسباب النزول سهّل للصحابة فهمه وتفسيره، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلاّ وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل"[3].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلاّ أنا أعلم أين أنزلت وما أنزلت آية من كتاب الله إلاّ أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[4]، وقال كذلك: "كان الرجل هنا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعلم معانيهن، والعمل بهن"[5].

تفسير القرآن بمقتضى علمهم بالعربية، جُلّ الصحابة عرب أقحاح لا تخفى عليهم اسرار لغتهم ومعاني ألفاظها وتراكيبها، ولقد كان الصحابة يفهمون كثيرا من كتاب الله عز وجل من مجرد معرفتهم بلغة العرب، وكان من أشهر الصحابة الذين فسروا القرآن بكلام العرب عبد الله بن عباس وقد اشتهرت مسألة سؤالات أو مسائل نافع ابن الأزرق إلى ابن

عباس" وكان نافع بن الأزرق يسأل ابن عباس عن آيات الله تعالى، وعبد الله بن عباس يجيبه بأشعار العرب[1].

ولقد اشتهرت في عهد الصحابة رضي الله عنهم ثلاث مدارس تفسيرية:

- مدرسة التفسير بمكة وتنتمي إلى عبد الله بن عباس

---

[2] المقدمات الأساسية في علوم القرآن: عبد الله بن يوسف الجديع، ط1، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، 1422هـ، 2001م، ص: 313-314

[3] الطبقات لإبن سعد 338/2

[4] أخرجه البخاري برقم 4716 ومسلم برقم 2463

[5] البرهان للزركيش، ص: 157

[1] أخرجه البخاري برقم 4716 ومسلم برقم 2463

- مدرسة التفسير بالمدينة وتنتمي إلى أبي بن كعب
- مدرسة التفسير بالعراق وتنتمي إلى عبد الله بن مسعود[2]

ومن أمثلة تفسير الصحابة رضي الله عنهم ما رواه الترميذي في سننه قال: حدثنا عبد الحميد، قال: حدثنا الضحاك بن مخلد عن حيوة بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم بن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم[3] فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أصل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضارة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالو: سبحان الله يلقي يديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبض سراّ دون رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه (صلى الله عليه وسلم) يرد علينا ما قلنا: "وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" [البقرة– الآية: 195] فكانت التهلكة الإقامة على

الأموال وإصلاحنا وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الصحابة في الله منهم على سعة علم بعضهم بالقرآن الكريم، إلاّ أنهم كانوا يتورعون على القول فيه بالرأي، فقد روى التميذي على ابن عباس رضي الله عنه أن

---

[2] علم التفسير: محمد حسين الذهبي، دط، دار المعارف، القاهرة- مصر، د ت، ص: 31

[3] هي القسطنطنية (أنظرالواضح في علوم القرآن ص: 216)

[1] الجامع الكبير لسنن الترميذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترميذي، تحقيق بشار عواد معروف، ك1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1996م، ج5، ص: 82، رقم: 2972، وقال الترميذي هذا حديث حسن صحيح غريب

النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: اتقوا الحديث عني إلاّ ما علمتم، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[2].

ثم قال الترميذي: "وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وغيرهم أنهم شدّدوا في ان يفسر القرآن بغير علم[3].

د) تفسير القرآن بأقوال التابعين:

قال صلى الله عليه وسلم "خيركم قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[4].

اختلط التابعون بالصحابة رضوان الله عليهم، فحملوا عليهم علم القرآن والحديث والفقه، وبدأ التابعون يفسرون القرآن بما تعلموه عن الصحابة، وبما استنبطوه من الكتاب العزيز، وكان التابعون يتخرجون من المدراس الثلاث التي كانت في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

فكانت مدرسة بن عباس في مكة، وكان أشهر تلاميذه من التابعين سعيد بن جبير أو مجاهد بن جبر، وعكرمة مولى بن العباس، وطاووس بن كيسان اليمني، وعطاء بن رباح.

وكانت مدرسة أبي ابن كعب في المدينة وكان من أشهر تلاميذه من التابعين أبو العالية رفيع بن مهران الرباحي، ومحمد بن كعب القراظي وزيد بن أسلم.

وكانت مدرسة عبد الله بن مسعود في الكوفة بالعراق، وكان أشهر تلاميذه من التابعين علقة بن قيس النخعمي، مسروق بن الأجدع الهمذاني، والأسد بن يزيج النخعي، مرة الهمذاني، وعامر الشعبي والحسن المصري، وقتادة بن الجمع السّدسي...

وقد اختلف العلماء في أقوال التابعين في التفسير، فمنهم قال بالأخذ بأقوالهم، ومنهم من كان يرى غير ذلك.

وكان مستند القائلين بالأخذ بقول التابعين في التفسير، أن التابعين أخذوا من الصحابة كما ذكرنا.

---

[2] سنن الترميذي، ج5، ص: 82، رقم: 2951، وقال الترميذي هذا حديث حسن

[3] المصدر السابق، ج5، ص: 66

[4] صحيح مسلم، رقم: 2535

فقال مجاهد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته...[1]

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبي الفضل بن ميمون سمعت مجاهدا يقول "عرض القرآن على بن عباس ثلاثين مرة"[2].

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه لا يلزم الأخذ بقول تفسير التابعي وحجتهم، أي أن التابعين لم يسمعوا من الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلا يمكن حمل القول منهم على السماع منه، كما هي الحال مع الصحابة، ثم أنهم لو يشاهدوا القرائن والأحوال التي رافقت نزول الوحي، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد من الآية، وقد رجّح محمد حسين الذهبي هذا الرأي الأول فقال: "والذي تميل إليه النفس في هذه المسألة هو أن قول التابعي يجب الأخذ به، إلاّ إذا كان مما لا مجال للرأي فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه بأن كان يؤخذ عن أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه، أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره"[3].

وكثير مما يُتوهم فيه الاختلاف بين التابعين في التفسير حاصله أن كل واحد منه يعبر عن المعنى نفسه بعبارات غير التي يعبر بها غيره فيعتقد الإختلاف بينهم وتنقل أقوالهم على أنها تنوعات في المعنى وإنما هي تنوعات في اللفظ[1].

قال ابن كثير: وقال شعبة بن الحجاج وغيره: "أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أمّا إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض،

---

[1] تفسير الطبري، ج1، ص: 90

[2] تهذيب الكلام في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق بشار عوداد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1413هـ، 1992م، ح7، ص: 233

[3] علم التفسير محمد حسين الذهبي، ص: 33

[1] أنظر لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1410هـ، 1990م، ص: 210-211

ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن والسنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك"[3].

♣ المبحث الرابع:

أنواع التفاسير:

يمكن أن نميز في التفسير منهجين كنا قد تكلما عنهما في البحث السابق وهما تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي.

أمّا التفسير بالمأثور فأولى خطواته تفسير القرآن بالقرآن، ثم يليه ما رفع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وبعدها ما نقل عن الصحابة، ثم يأتي تفسير التابعين الذين نقلوا عن الصحابة، ومن التابعين ما أخذ التفسير كله من الصحابة.

وقد تميزت بهذا النوع من التفسير طائفة كبيرة ممن كتبوا في التفسير وجمعوا فيه نذكر منهم:

جامع البيان عن تأويل أي القرآن: وهو تفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ، وهو أفضل كتب بالمأثور وأجمع عن التحرير والنقد، يمتاز بإنشاء جميع الروايات مع الحديث والآثار كما يراعي أي اختلاف في اللغة والقراءات وعرف مؤلفه إماما مجتهدا، ثقة، مثقف كبير القدر[1]، وقال ابن تميمة: "تفسير محمد بن جرير الطبري من أجل التفاسير وأعظمها قدرا"[2].

إلاّ أن تفسيره لم يسلم من بعض الانتقادات[3]، وسيتسنى لنا أن نذكر في الفصل التطبيقي بعض ما دعى إلى أن يكون هذا التفسير الجلي محل الانتقاد.

---

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ج1، ص: 10

[1] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، ص: 322

[2] مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، أنور الباز وعامر الجزار، ط1، دار الوفاء، القاهرة- مصر، 1426هـ، 2005م، ص: 361

[3] أنظر: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ص: 270

معالم التنزيل، للإمام محي السنة أبي محمد الحسن بن سعود البغوي، المتوفى سنة (516هـ)، وهو تفسير جل اعتماده على المأثور عن السلف كما اعتنى باختلاف القراء، واعتمد اللغة كذلك وقد برزت فيه علامات تفقهه[5][4].

وقد سئل ابن تيمية عن ثلاثة تفاسير من بينها تفسير البغوي قال: "فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة (البغوي)"[6] وغيره مما يندرج في هذا الصنف من التفاسير.

أما ثانيا فلدينا التفسير بالرأي الذي هو امتداد لتفاسير السابقة، ولقد تعددت فيه المناهج وتضارب الأفكار فمنهم ما حمد ومنهم ما ذمّ، تبعا لقربه من بيان القرآن وهديه أو بعده عنه.

فالرأي اجتهاد صحيحه يكون نسبة إلى درجة إدراك المجتهد باللغة العربية وألفاظها ومعانيها وشعرها ونثرها، وإدراكه لعلوم القرآن بين أسباب النزول وناسخه ومنسوخه وغيرها،...

وتفسير النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة للقرآن لم يكن شاملا لجميع القرآن فلقد كان النبي مقتصرا غالبا لما كان غامضا أو كان من غريب القرآن، فكلما بعد الناس عن عصر النبي والصحابة اتسع على العرب احتكاكهم بالعجم واحتياجهم التفسير أكثر فأكثر، وهنا بدأ تعمق التفسير بالرأي.

وقد اختلف العلماء أشد الاختلاف في التفسير بالرأي، ويكون هذا الاختلاف بحسب المعنى المراد لكلمة "الرأي" فطريقة تعريفها عن كل فريق يرفضها الآخر[1]

ويندرج تحت هذا العنوان من التفسير عدة نماذج كل بحسب ما انتهجه المفسر أثناء تفسيره كالتفسير اللغوي أو ترجمة معاني القرآن الكريم أو أي نوع آخر كان الاجتهاد في التفسير مع الدراية بعلوم القرآن، وصاحب ذلك عدم وجود مأثور أو تفسير للصحابة أو التابعين الذين نقلوا عنهم.

---

[4] لمحات في علوم القرآن، ص: 277
[5] مجموع الفتاوى، ج13، ص: 386
[6] مجموع الفتاوى، ج13، ص: 386
[1] لمحات في علوم القرآن، ص: 279

فهذان هما المنهجان الأساسيان اللذان اتبعهما العلماء في التفسير.

وهناك أنواع أخرى من التفاسير وجب الإشارة إليها نظرا لأهميتها في الوسط العلمي، سواء كان صوابا فننبه إلى وجوب الإحاطة به أو الرجوع إليها أو كان منهجها خطأ وكفرا أحيانا حذرنا منها.

أ) تفاسير الفقهاء:

والمقصود بها طائفة من أهل العلم اختصت بتفسير آيات الأحكام التي تشرح شرائع الإسلام، وتبين الحلال والحرام، والواجب، والفرض والسنة، وغير ذلك مما يندرج في هذا الإطار، وإذا كان لهم أن تطرقوا في تفاسيرهم إلى غير هذه الأحكام، فلا بدّ أن لتلك الفوائد المضافة شرح وتفسير لما تلكموا عنه، وقد ذهب العلماء في هذه التفاسير ثلاثة مذاهب هي الحنفية، والمالكية، والشافعية[2]، ومن هذه التفاسير:

- أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص المتوفي سنة (370هـ) ومذهبه حنفي.
- أحكام القرآن للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن المطيري الملقب (إلكيا الهراسي) المتوفي سنة (504هـ) مذهبه شافعي.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، المتوفى سنة (671هـ) ومذهبه مالكي[1(1)].

ب) <u>التفاسير اللغوية:</u>

وهي تهتم ببيان معنى الآية من حيث الجانب اللغوي، أو معنى لفظ من القرآن، وهو تفسير ذو حدين، ومتبينه يمكن أن يقع في مصائد اللغة مما تحمله من معاني كثيرة وألفاظ متعددة الدلالات، مع تنوع أساليب تركيب الكلام[2]...

---

[2] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 368

[1] المرجع السابق، ص: 369-371

[2] المرجع نفسه، ص: 353

وهو ما عهد إليه جمهور من المذهب ببيان نحو القرآن بالإعراب والبلاغة، وإظهار أنواع البيان والمعاني والبديع، كما أبرزت طائفة معانيه وغريبه من جهة ما عرف عن العرب[3].

فالتفسير اللغوي هدفه شرح الألفاظ ومعرفة المعاني المقصودة من اللفظ ومعرفة مستثنيات اللفظ وإعراب كلماته.

ومن مؤلفات من انتهجوا هذا المنهاج في التفسير:

- إعراب القرآن للإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المتوفى سنة (338هـ).
- مشكل إعراب القرآن للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القرطبي المتوفى سنة (437هـ) وقد اعتنى مؤلفه فيه بإعراب ما أشكل لا جميع مفردات القرآن[4].

وهذا النوع من التفاسير يندرج ضمن تفسير بالرأي صحيحه أو بطلانه يكون نسبة إلى درجة علم المفسر باللغة العربية وعلومها وكذلك علوم القرآن.

جـ) التفاسير المعاصرة (العلمية):

يرد تحت هذا العنوان صنفين من التفسير، فالصنف الأول كون بعض العلماء اهتم بما أثير حول القرآن من شبهات ومشكلات، ومنهم من أختص بأمراض المجتمع المختلفة جاعلا لها حيزا في تفسيره، ومنهم من اهتم بالقضايا العلمية ومدى موافقتها للقرآن الكريم، ومنهم من ألم ببعد الأمة عن دينها فأتبع هذه المعاني بحثا وتفصيلا من خلال تفسيره للقرآن الكريم[1].

وضمن هذا النوع الأخير ممن تطرقا إليهم يمكننا أن ندرج الصنف الثاني من التفسير والذي عمد فيه مفسروه إلى تبسيط لغة ومضمون التفاسير حتى تتناسب والمنهجية المعاصرة، وقولنا المنهجية المعاصرة أي ضعف الأمة في إدراكها لعلوم اللغة على حقيقتها أو في غالب ما صرنا إليه انعدام إدراك اللغة العربية وعلومها البتة، والأصل في القرآن عربيته وكلما بعد

---

[3] المرجع نفسه، ص: 372

[4] المرجع نفسه، ص: 354-355

[1] أنظر: بحوث منهجية في علوم القرآن، موسى إبراهيم الإبراهيمي، ص: 111

الإنسان عن هذه اللغة ابتعد عن الدين وأصوله، وتبسيط لغة التفسير يوقع المفسر في إشكالية التحريف لا محال، فكيف لا وقد تعرض أهل التفسير بالمأثور إلى الانتقاد فما بالنا بمن تفنن محاولا تبسيطه بتبسيط إفهامه[2].

إلا أن ذلك لم يكن حجة مانعة لإيصال معنى القرآن الكريم إلى من جهله وجهل لغته أو لم يكن له العلم الوافر في العربية، فإننا نرى اليوم موجات تغرف أعمدة هذه اللغة أينما وجدت ووجب تدارك ذلك بكل السبل، فمن المفسرين من وافق بين عرصرنة الأذهان وعمق هذا الدين وضبطوا في ذلك تفاسير جذورها علم مستأثر وظاهرها وشروحاتها بما يتوافق ويتدارك أحوال الأمة، نذكر منها:

- في ظلال القرآن لسيد بن قطب بن إبراهيم المصري المتوفي سنة (1387 هـ).
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور المالكي، شيخ جامع الزيتونة بتونس، المتوفى سنة (1393هـ) .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي المتوفى سنة (1393هـ)[3]

ويمكن أن ندرج في إطار هذا أنواع من التفسير ترجمة معاني القرآن الكريم والتي تنقسم إلى نوعين، وهي الترجمة الحرفية وهي غير جائزة، والترجمة التفسيرية والتي تجوز بشروط، ذلك ما سنتطرق إليه في مبحث خاص.

فترجمة تفسير القرآن الكريم ليست بالعلم الحديث إلاّ أن الجهود المبذولة في هذا المجال قد تضاعفت خلال السنوات الأخير إذ لا تكاد توجد لغة لم يتم نقل معاني القرآن إليها، أو محاولة الترجمة إليها وجوازها ونجاحها مقتصران على شروط سوف نتطرق إليها في مبحث خصصناه لهذا العلم

---

[2] أنظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 384

[3] أنظر: المرجع السابق، ص: 385-388

د) <u>التفاسير الصوفية (الإشارية)</u>:

وهو تفسير اللفظ بغير المتبادر من ظاهره، أو استخراج معاني كامنة وراء الظاهر[1]، وهو تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة خفيفة تظهر لأرباب السلوك والتصوّف[2]، وهو أيضا ما يسموه الصوفيون العلم اللدني والذي أخذ من قوله تعالى في حق "الخضر" عليه السلام: "وعلمناه من لدنا علما"[الكهف– الآية: 65][3].

وهذا التفسير باطل كونه مبني على إتباع الهوى، وليس فيه من العلم إلاّ ما يضرّ ويخرج عن الملة.

وقد سلك طرق هذا التفسير طائفة، منهم:

- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري المتوفى سنة (412هـ) وهو كبير الصوفية في وقته.
- محي الدين محمد بن علي بن محمد الفائي الحاتمي المعروف بابن عربي المتوفي سنة (638هـ) ومن العلماء من كفره[4].

هـ) <u>التفاسير الباطنية</u>:

وهي تفسير القرآن الكريم على معان مختلفة لظاهر القرآن الكريم مما يجافي معاني الكلمات والجمل في القرآن الكريم دون دليل أو شبهه عن دليل[1]، فهم يريدون بقولهم أن للقرآن ظاهر وباطن، قاصدين باطنه دون ظاهره.

فبعض فرق الشيعة يدعون أن الباطن له باطن حتى يصل العدد إلى سبعة بواطن، وإن معرفة القرآن لا تكون صحيحة وكاملة إلاّ بمعرفة هذه البواطن[2].

---

[1] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 347
[2] الواضح في علوم القرآن، ص: 283
[3] أنظر: البرهان في علوم القرآن، في كلام الصوفية في تفسير القرآن، ج2، ص: 170
[4] أنظر المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 175-377
[1] الواضح في علوم القرآن، ص: 238
[2] المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، د ط، دار الفكر العربي، مصر، 1350هـ، 1970م، ص: 601

وهذين النوعين الأخيرين من التفسير من غرائب التفسير، وهما باطلان وقد ذكرناهما من باب التحذير منهما، ومن أراد أن يتوغل في البحث في هذا المجال فكتب علوم القرآن قد تطرقت لها وذكرت أمثلة كثيرة عن طرق غلوهم في دين الله.

♣ المبحث الخامس:

▪ أصول التفسير:

أ) علم المحكم والمتشابه:

المحكم والمتشابه باب عظيم من أبواب علوم القرآن وعليه مدار تفسير كثير من آيات الكتاب الحكيم ولذلك عني به أهل العلم اعتناء شديدا وصنّفوا فيه الكتب والأسفار، ولعل من أهمها كتاب كشف المعاني في المتشابه من المثاني[1]، لابن جماعة ... والمحكم ضد التشابه، ويلزم قبل التفصيل فيهما تعريف كل منهما:

أماّ المحكم لغة: فقال فيه ابن منظور، واحكم الأمر أيقنه،... وأحكمت الشيء فاستحكم: صار محكما، واحتكم الأمر واستحكم: وثق[2].

أماّ في الاصطلاح لقد نقل أبو حيان الأندلسي مجموعة من أقوال أهل العلم في تعريف المحكم فقال: قال بن عباس وابن مسعود وقتادة الربيع والضحاك: "المحكم" الناسخ.. وقال مجاهد وعكرمة "المحكم" ما بيّن تعالى حلاله وحرامه فلم تشتبه معانيه،... وقال جعفر بن محمد بن الزبير والشافعي: "المحكم" ما لا يحتمل إلاّ وجها واحدا... وقال ابن زيد: المحكم ما لم تتكرر ألفاظه ... وقال جابر بن عبد الله وابن ذئاب وهو مقتدى قول الشعبي والثوري وغيرهما "المحكم" ما فهم العلماء تفسيره... وقال ابن عثمان "المحكم" الفاتحة.. وقال محمد بن إسحاق المحكمات ما ليس تصريف ولا تحريف ... وقال يحي بن يعمر: "المحكم" الفرائض والوعد والوعيد... وقيل: المحكم ما قام بنفسه ولم يحتج إلى استدلال[3]

---

[1] كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة، تحقيق عبد الجواد خلف، ط1، دار الوفاء، المنصورة- مصر، 1410هـ، 1990م

[2] لسان العرب، مادة (حكيم)

[3] أنظر المرجع نفسه، ص: 156

فنرى تعدد الأقوال في معنى المحكم ولقد استحسن محمد الصباغ وفضّل التعريف التالي: المحكم ما عرف المراد منه إمّا بالظهور وإماّ بالتأويل[1].

و"المحكم" درجات؛ منه الآيات التي يفهمها الناس جميعا من أهل اللغة العربية، ولا تخفى عليهم دلالتها لشدة وضوحها، ومنه ما لا يفهمه إلاّ العارفون بأسرار اللغة وأوجه بلاغتها وفصاحتها وألوان بديعها وبيانها، وهذا أمر عادي لاختلاف الناس أصلا في معرفتهم باللغة، منهم ما لا يعرف إلاّ الضروري منها، ومنهم من يعرف دقائقها وعلومها وتفاصيلها فيكون هذا النوع من المحكم يسير الفهم عليه[2].

والمتشابه كما ذكرنا نقيض المحكم، وقال ابن منظور: "أشبه الشيء: ماثله.. والمتشابهات من الأمور المشكلات والمتشابهات، والمتماثلات[3].

أماّ في الاصطلاح لقد ذكر أبو حيان الأندلسي تعاريف كثيرة لها نقلها عن أهل العلم، منها:

قال ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة والربيع والضحاك... المتشابه المنسوخ، وقال مجاهد وعكرمة: المتشابه ما اشتبهت معانيه، وقال جعفر بن محمد، ومحمد بن جعفر بن الزبير والشافعي: المتشابه ما أحتمل من التأويل أوجها، وقال جابر بن عبد اله وابن ذئاب، وهو مقتدى قول الشعبي والثوري وغيرهم: المتشابه ما استأثر الله بعلمه لقيام الساعة وطلوع الشمس من مغربها وخروج عيسى، وقيل المتشابه ما كان معاني أحكامه غير معقولة، كأعداد الصلوات واختصاص صوم شهر رمضان دون شعبان[4].

وذكر محمد الصباغ تعريفا مثل التعريف الذي ذكره محمد بن جعفر وغيره: "المتشابه ما احتمل أوجها فاشتبه منه مراد المتكلم على السامع"[5].

---

[1] لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ص: 152

[2] أنظر: المرجع نفسه، ص: 156

[3] لسان العرب، مادة (الشبه)

[4] تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج3، ص: 396-397

[5] أنظر لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ: 152

واختلف العلماء في المتشابه هل يمكن معرفته أم لا، فقال فريق: إنه يمكن للراسخين في العلم الاطلاع على المتشابه ومعرفته، ومن أصحاب هذا الرأي الإمام النووي الذي احتج لقوله هذا بأنه يبعد على اله تعالى أن يخاطب عباده بما لا سبيل لهم إلى معرفته، وقال فريق آخر: أنه لا يمكن في العلم إنما يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وأيّده السيوطي وعزاه إلى أكثر الصحابة والتابعين وهو الذي اطمأن له محمد الصباغ فقال: "وهذا الرأي الذي نرجحه، وهو الصواب إنشاء الله تعالى"[1].

ومن أدلة الفريق الثاني الذين على رأسهم بن عباس وابن مسعود أبيّ بن كعب رضي الله عنهم: أن الله تعالى ذمّ الذين يتبعون المتشابه، ونعتهم بزيغ القلوب وإبتغاء الفتنة.

- **أولا:** عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو الذي نزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب" [آل عمران– الآية: 07] قال صلى الله عليه وسلم: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولائك الذين سمى الله فاحذرهم"[2].

ومن أدلة أصحاب المذهب الأول الذين على رأسهم مجاهد ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهم والنووي وأبو الحسن الأشعري وأبو إسحاق شيرازي ما يلي: "أن الله تعالى ما أنزل القرآن إلاّ لينتفع به عباده، ولا يمكن القول أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يعلم المتشابه، وبما أنه يعلم المتشابه فلا بد أنه علمه لأصحابه فهم يعرفونه".

- **ثانيا:** قول مجاهد في قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا"[آل عمران– الآية: 07].

فالراسخون معطوفة على الله وبالتالي فهم يعرفون المتشابه ويقولون آمنا به.

- **ثالثا:** أمّا المفسرين لم يغفلوا شيء من القرآن وتأولوا كثيرا من آياته حتى الحروف المقطعة التي تبدأ بها بعض السور.

---

[1] المرجع نفسه، ص: 153-154

[2] رواه البخاري برقم: 4547 في كتاب التفسير ورواه مسلم برقم 2665 في كتاب العلم (باب النهي عن إتباع تشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنفي عن اختلاف القرآن

وسار فريق في مذهب ثالث بقوا بين المذهبين قال به الراغب الأصفهاني في معرض تقسيمه المشابه إلى ثلاثة أقسام:

1- قسم ليس من سبيل إلى معرفته كوقت الساعة وخروج الدابة.

2- قسم يمكن للإنسان معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام الصعبة المستغلقة.

3- قسم واقع بين هذين القسمين يختص به الراسخون في العلم[1].

ولا بدّ في سياق الحديث عن المتشابه من الحديث في نوع آخر في القرآن الكريم شبيه به قد يلتبس عن الكثير من المتبصرين في القرآن فيحسبوه في المتشابه وليس منه، ويقال له المبهم وهو في الاصطلاح ما لا سبيل إلى معرفته إلاّ بتبيان المبهم عبارة أو إشارة[2].

وللإبهام أسباب منها:

- **أولا:** أني كون المبهم واقعا في سياق هو في غنى عن بيانه فيه كقوله تعالى: "يصونها يوم الدين" [الانفطار- الآية: 15]، فبيّنها الله تعالى في قوله: "ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله" [الانفطار- الآية: 17-18].
- **ثانيا:** أن يكون المبهم متعينا لاشتهاره فيستغنى عن ذكره كقوله تعالى: "اسكن أنت وزوجك الجنة"، فلم يقول الله تعالى: "حواء" أن لم يكن غيرها.
- **ثالثا:** قص التستر على المبهم ليكون أبلغ في استعطافه كقوله تعالى: "أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل" [البقرة- الآية: 108].

والمراد بالمخاطب رافع بن حريملة ووهب بن زيد، ذكر القطبي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه أن سبب نزول هذه الآية أن رافع بن حريملة ووهب بن زيد قالا لنبي الله عليه الصلاة والسلام آتنا بكتاب من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك[1].

---

[1] بحوث منهجية في علوم القرآن، ص: 156-158

[2] الواضح في علوم القرآن، ص: 125

[1] الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، د ط، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1423هـ، 2003م، ج2، ص: 70

- **رابعا:** ألاّ يكون في تعيينه كبيرا فائدة كقوله تعالى: "أو كالذي مر على قرية" [البقرة- الآية: 259] والمراد به عزير.

قال أبو حيان في البحر المحيط والذي مر على قرية هو عزير، قال ابن عباس وعليه وعكرمة وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي ومقاتل وسليمان ابن بريدة، وناجيه بن كعب وسالم الخواص[2].

- **خامسا:** التنبيه على التعميم باختلاف فائدته في التعيين كقوله تعالى: "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى اله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقه أجره على الله" [النساء- الآية: 100].

ذكر أبو حيان التوحيدي أقولا في الذي خرج من بيته ثم أدركه الموت والصحيح أنه سمرة بن بغيظ[3].

وقال عكرمة أقمت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته هو ضمرة بن العيص، وكان من المستضعفين بمكة وكان مريضا فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتنعيم[4].

- **سادسا:** تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم لقوله تعالى: "ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة" [النور- الآية: 22].

هو المراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

- **سابعا:** تحقيرا بالوصف الناقص كقوله تعالى: "إن شانئك هو الأبتر" [الكوثر- الآية: 03] هو العاص بن وائل[2][1].

---

[2] تفسير البحر المحيط، ج2، ص: 302، وفيه أقوال أخرى يرجع فيها إلى التفاسير
[3] تفسير البحر المحيط، ج3، ص: 350
[4] الوضاح في علوم القرآن، ص: 126
[1] أنظر: تفسير القرطبي، ج22، ص: 529
[2] الإتقان في علوم القرآن، ج6، ص: 2019-2020

وخلاصة الفرق بين المتشابه والمبهم، أن المتشابه يحتمل أوجها عديدة لا سبيل إلى التيقن من أحدها، أماّ المبهم فيمكن معرفة حقيقته والسبيل إلى ذلك التبيين من المبهم إشارة وعبارة[3].

- **الحكمة بين المتشابه وفوائده:**

قال صابر حسن أبو سليمان: ولعل اشتمال القرآن على المتشابه وعدم اقتصاره على المحكم وحده أن يكون حافزا للمؤمنين على الاشتغال بالعلوم الكثيرة التي تقدرهم على فهم الآيات المتشابهات فيتخلصون من ظلمة القيد ويقرؤون القرآن متدبرين خاشعين، ثم ذكر للتشابه أربعة فوائد هي:

- تحفيز العلماء على النظر المفضي إلى العلم بغوامض المتشابه والبحث عن دقائقه.
- ظهور التفاضل بين الناس والتفاوت في درجاتهم من حيث العلم بكتاب الله ولولا ذلك لاستوت منازل الخلق ولم يظهر للعالم فضل على غيره.
- زياد الثواب، لأن المتشابه يتطلب مزيد من المشقة في الوصول إلى مراده، ولما زادت المشقة زاد معها الأجر.
- تحصيل العلوم الكثيرة، لأن المتشابه يستلزم في معرفة النحو والمعاني وأساليب العرب وعلوم أخرى.

أماّ فوائد المتشابه الذي لا يمكن علمه هو ابتلاء العباد بالتوقف فيه، وتفويض الأمر لله والتعبّد من جهة التلاوة وكذلك إقامة الحجة على العرب أهل البلاغة.

إذ أن القرآن نزل بلسانهم ولغتهم، إذ أنهم تراهم عاجزين عن الوصول إلى معناه[1].

---

[3] الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب أبوغا ومحي الدين متو، ص: 127

[1] مورد الظمآن في علوم القرآن: صابر حسن أبو سليمان، ط1، الدار السلفية، بامباي- الهند، 1404هـ، 1984م، ص: 61-62

ب) خصائص اللغة والأسلوب القرآنيان:

لما كان مصدر الشريعة الإسلامية اللذين هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باللغة العربية، كان لا بدّ للناظر فيهما تفسيرا وتأويلا واستنباطا أن يكون محصلا لقدر وافر من علوم اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة ودلالة وغيرهما، وما يزيد هذه اللغة أهمية في علوم الدين الإسلامي هو أن هذه العلوم المتفرعة عن الوحيين قد دوّنت في الغالب الأعظم باللغة العربية، فكانت أهمية العربية تزيد مع زيادة التأليف في علوم الدين زيادة غير منقطعة، قال الشاطبي في هذا الشأن: "على الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولا ونوعا أمران:

أحدهما أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربا أو كالعربي في كونه عارفا بلسان العرب، بالغا فيه مبالغ العرب، أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وداناهم وليس المراد أن يكون حافظا كحفظهم وجامعا كجمعهم، وإنما المراد أن يصير فهمه عربيا في الجملة، والأمر الثاني أنه إذا أشكل عليه في الكتاب أو في السنة لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهره بغيره ممن له علم بالعربية"[2]، وقال في الموافقات: "فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"[3].

ولا يغفل أهل العلم عند الكلام عن شروط المفسر أن يذكروا وجوب علمه بلغة العرب وضبطه لتصاريفها ومعرفته بلهجات العرب، قال صابر حسن أبو سليمان في شروط المفسر: "الإلمام باللغة العربية وفروعها: فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع"[4].

وعدّد العلماء العلوم التي لا بدّ للمفسر من تحصيلها حتى يحل له القول في كتاب الله وجعلوها خمسة عشر علما، بضعة منها من علم اللغة، وهذه العلوم الخمسة عشر هي: اللغة والنحو،

---

[2] الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1402هـ، 1982م، ج2، ص: 297

[3] الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبين تحقيق عبد الله دراز، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د ت، ج2، ص: 65

[4] مورد الضمآن في علوم القرآن، ص: 191

التصريف والاشتقاق والمعاني والبيان، والبديع والقراءات وأصول الدين، وأصول الفقه، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، والفقه والحديث، وعلم الموهبة[1].

فترى أن السبعة الأولى منها كلها ع..... اللغة العربية وهذا من أكبر الأدلة على عظم قدرها، وقد نقل شعبان محمد إسماعيل القول لمجاهد جاء فيه: "لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عارفا بلغات العرب"[2]، واستطرد شعبان محمد إسماعيل قائلا: "والمراد: العلم باللغة الواسع المتعمق ولا يكتفي باليسير منه، فقد يكون اللفظ مشتركا، وهو يعلم أحد المعنيين، وقد يكون المراد الآخر وكذلك العلم بالفروق والعلم باللغة ونثرها ونظمها من الأسباب التي مكنت ابن عباس أن يكون حبر القرآن..."[3].

<u>جـ) الناسخ والمنسوخ:</u>

الناسخ والمنسوخ من أهم علوم القرآن الكريم التي تعلقت بها كثير من الأحكام الشرعية، النسخ في اللغة كما قال ابن منظور: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه... والأشياء تناسخوا: تداولوا، فيكون بعضها مكان بعض كالدول والملك، والعرب.. تقول: نسخت الشمس الظل، وأن نسخته: أزالته، والمعنى أذهبت الظل وحلت محله[4].

والنسخ اصطلاحا: رفع الحكم الشعري بخطاب شرعي متراخ عنه[5]، وهذا التعريف مختصر.

ولعلماء الأصول تعاريف أوسع قالوا أن النسخ: رفع حكم شرعي عملي جزئي ثبت بالنص بحكم شرعي عملي جزئي ثبت بالنص ورد على خلافه، متأخر عنه في وقت تشريعه، ليس متصلا به[1]، والحكم الشرعي المرفوع هو المنسوخ والحكم الشرعي المتأخر هو الناسخ.

---

[1] أنظر: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، شعبان محمد إسماعيل، ط1، دار الأنصار، مصر، 1400هـ، 1980م، ج2، ص: 280-285

[2] المرجع نفسه، ج2، ص: 280

[3] المرجع نفسه والصفحة نفسها

[4] لسان العرب (مادة النسخ)

[5] دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن الرومي، د ط، مكتبة الملك فهد، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1426هـ، 2005م، ص: 404

[1] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 20

وقد دلّ على وقوع النسخ في الوحيين أدلة الكتاب والسنة، قال الله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أم تعلم أن الله كل شيء قدير" [البقرة- الآية: 106] وهذه الآية أوضح الآيات المصرحة بوقوع النسخ، وينبغي التنبه إلى قوله تعالى نأت بآية خير منها، وذلك يدل على جواز وقوع نسخ القرآن بغير القرآن أي السنة.

وقوله تعالى: "وإذا بدلنا آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون" [النحل- الآية: 10] وهذه الآية كذلك دلالة صريحة على ثبوت النسخ، وكذلك قوله تعالى: "يمحو الله ما يشاء ويثبت عنده أم الكتاب" [الرعد- الآية: 39].

وهذه الآية تامة شاملة لما يمحو الله من الذنوب والخطايا والأحكام وغيرها، ويدخل فيها الناسخ والمنسوخ.

وروى الطبري عن الضحاك في قوله تعالى: "يمحو الله ما يشاء ويثبت عنده أم الكتاب" قال حدثت عن الحسين قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: "لكل أجل كتاب" الآية يقول: "يمحو الله ما يشاء"، يقول: "انسخ ما شئت وأصنع من الأفعال ما شئت، إن شئت زدت فيها وإن شئت نقصت"[2].

وفي قوله: "وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي" [يونس- الآية: 15]، ووجه الشاهد في هذه الآية قوله تعالى: "ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي"، وهي واضحة على أن الله عز وجل هو من يبدل الآية بالآية وسبيل ذلك الوحي.

وينقسم النسخ إلى قسمين كلي وجزئي:

1- الكلي:

والمراد منه نسخ شريعة بشريعة أو نسخ لشريعة أخرى، كنسخ شريعة النبي (صلى الله عليه وسلم)[1].

---

[2] تفسير الطبري، ج16، ص: 484

[1] الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد الغفار سليمان الأندلسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1406هـ، 1986م، ص: 16

وهو النسخ بالمعنى الأصولي[2].

2- النسخ الجزئي:

وهو النسخ الواقع في الشريعة الواحدة كما سبق وتطرقنا إليه في التعريف، أي دلالتنا لما ورد من نسخ في شريعة الإسلام ووحي القرآن، والنسخ في هذا القسم يكون بحسب المنسوخ وهو أنواع:

أولا: النسخ من حيث التلاوة والحكم:

وهو ثلاثة أنواع: نسخ التلاوة والحكم معا، نسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم.

1) نسخ التلاوة والحكم معا:

وهو أن يبطل العمل بالحكم الثابت بالنص، إلى جانب حذف النص من القرآن، ذلك أنه لم يثبت في المصحف تلاوة، ومثال ذلك قول عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان فيما أنزل من القرآن: "عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن: فيما يقرأ من القرآن"[3]، فقد نسخ حكم التحريم بعشر رضعات معلومات، كما نسخت تلاوة هذه الآية، والمراد من قولها: وهن مما يقرأ من القرآن أن التلاوة قد نسخت ولم يبلغ ذلك كل الناس إلاّ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فتوفي وبعض الناس يقرأه"[1].

قال مكي: "هذا مثال فيه المنسوخ غير متلو، والناسخ أيضا غير متلو، ولا أعلم له نظيرا"[2].

2) نسخ الحكم دون التلاوة:

أي أنه يبطل العمل بالحكم مع بقاء نص الآية بما يتلى من القرآن ويتعبد بتلاوته ويثبت بين دفتي المصحف، وهو في الحقيقة قليل جدا بالرغم من إكثار الناس على تعداد الآيات فيه.

---

[2] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 208

[3] رواه مسلم في صحيحه برقم 1452 كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات

[1] أنظر: الواضح في علوم القرآن، ص: 148

[2] الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط1، دار المنار، جدة- السعودية، 1406هـ، 1986م، ص: 50

وقد اختص بهذا النوع من النسخ المحققون كالقاضي أبي بكر بن العربي؛ إذ ميز ذلك وأتقنه، ومما أورده ممن تطرقوا إلى هذا النوع من النسخ أقسام:

- **قسم ليس من النسخ في شيء ولا من التخصيص؛** ولا له بهما علاقة بوجه من الوجوه، وذلك مثل قوله تعالى: "ومما رزقناهم ينفقون" [البقرة– الآية: 03] قولهم أنها منسوخة بآية الزكاة، وليس كذلك كون حكم هذه الآية بأن كون الإنفاق هنا يصلح لأن يفسر بالإنفاق على الأهل، أو بالإنفاق في الأمور المندوبة كالإعانة والإضافة وازكاة.
- **وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ؛** فمن الآية ما خص بغاية أو استثناء وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ مثل قوله تعالى: "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن" [البقرة– الآية: 221]، وقيل أنه النسخ بقوله: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب" [المائدة– الآية: 05]، وإنما هو مخصوص به[3]، وغير هذه الآيات كثير.
- **وقسم رفع ما كان عليه الأمر في الجاهلية؛** أو في شرائع من قبلنا أو في الإسلام، ولم ينزل في القرآن، كإبطال نكاح نساء الآباء، ومشروعية القصاص والدية، وحصر الطلاق على الثلاث، وهذه إدخاله في قسم الناسخ قريب ولكن عدم إدخاله أقرب.

ولا يمكن أن يعد نسخا لأنه لو اعتبر كذلك لكنا قد حكما على القرآن كله نسخ، كونه قد رفع كلّ أو جلّ ما كان عليه أهل الكتاب أو الكفار[1].

3) <u>نسخ التلاوة مع بقاء الحكم:</u>

أي الحكم الثابت بالنص يبقى العمل به ثابتا ومستمرا، إنما ترفع التلاوة[2]، ومثال هذا النوع ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب وصححه ابن حيان، عن أبيّ بن كعب

---

[3] أنظر تفسير ابن كثير، ج3، ص: 42
[1] أنظر الإتقان في علوم القرآن، ص: 1441-1443
[2] أنظر: الواضح في علوم القرآن، ص: 146

رضي الله عنهما أنهما قالا كان فيما أنزل من القرآن الشيخة إذا زنيا فاجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم[3].

فالمراد بالشيخ والشيخة الثيب من الرجال والنساء وهذا الحكم وهو رجم الثيب من الرجال والنساء إذا زنى ثابت ومعمول به.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنه عن عمر رضي الله عنه قال: "إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان ممن أنزل عليه آية الرجم، قرأنها ووعيناها وعقلنها فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالثبات زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله"[4].

وللنسخ أيضا تقسيم يقع بحسب الناسخ وهو أربعة أنواع:

أ) نسخ الكتاب بالكتاب:

إذ لا خلاف في هذا النوع من النسخ قوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسيها نأت بخير منها أو مثلها" [البقرة– الآية: 106]، وقوله تعالى: "إذ بدلنا آية مكان آية" [النحل– الآية: 101].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج" [البقرة– الآية: 240]، نسخت بقوله تعالى: "والذين يتوفون منكم يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا" [البقرة– الآية: 234].

---

[3] رواه البخاري في المحاربين برقم: 6441، دون ذكر الآية المنسوخة

[4] رواه البخاري في: باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت برقم: 6830

ب) نسخ السنة بالكتاب:

وهو جائز لأنه صلى الله عليه وسلم أمر بصوم عاشوراء ونسخ بقوله تعالى: "شهر رمضان" [البقرة- الآية: 180]، حيث روى البخاري ومسلم في حديثهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت قرية تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، ولما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه"[1].

جـ) نسخ السنة بالسنة:

وهو جائز، كقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها"[2].

د) نسخ الكتاب بالسنة:

وفيه خلاف بين العلماء في الجواز العقلي والوقوع الشرعي:

أما جوازه عقلا فقيل لا يجوز وقيل يجوز، أماّ الوقوع شرعا فقد منعه العديد من العلماء أمثال الإمام أحمد والشافعي وابن تيمية وغيرهم،.. وسائد وقوعه من الحنفية والمالكية الكثير ورجح هذا الرأي الشركماني والرازي وغيرهم[1].

واحتجوا لقولهم بالآية قوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى" [النجم- الآية: 03]، كون السنة من عند الله كذلك، ولا حرج في نسخها للقرآن الكريم ومثاله قوله تعالى: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين" [البقرة- الآية: 180] قوله صلى الله عليه وسلم: "لا وصية لوارث"، ومن أنكره قال: "الناسخ آية الميراث"[2].

---

[1] صحيح البخاري، باب وجوب صوم رمضان، رقم: 1893

[2] أخرجه مسلم بنحوه في الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى في زيارة قبر أمه، رقم: 977

[1] أنظر الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ص: 277

[2] أنظر: الإتقان، ج4، ص: 1437

- **أهمية معرفة النسخ:**

إن النسخ في أصله إنما يدل على معرفة الحلال والحرام، ومعرفة ما أمر الله به وما نهى عنه في غير ما دلّ عليه القرآن بتصريح مباشر، فقد جعل الله لمعرفة دينه سبلا عدة سبق وأن أشرنا إليها في أوجه التفسير.

قال الأئمة: "لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلاّ بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ"

وقد قال علي[3] لقاصّ: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، فقال: أهلكت وهلكت[4]

فالنسخ أساس في فهم القرآن وبيان معناه.

- **فوائد النسخ:**

تتمثل فوائد معرفة الناسخ والمنسوخ في:

- معرفة بفضل الله تعالى على عباده إذ أن معظم النسخ وقع تخفيفا في العبادات والأحكام الأخرى، وتبديل الأحكام لما يناب حال الأمة من قوة وضعف.
- إبتلاء العباد بالامتثال لأمر الله أو عدمه، وتغيير الأحكام امتحانا لقلوب عباده، ليميز الله الخبيث من الطيّب والمؤمن من المغتاب في دين الله ووحيه.
- إرادة الخير للأمة إذ كان الناسخ أشق من المنسوخ ففيه زيادة ثواب وأجر للعباد، إذ الأجر على قدر المشقة، وإن كان الناسخ أيسر من المنسوخ فذلك تيسير من الله ورحمته[1].

---

[3] علي بن أبي طالب

[4] الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، أبو بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، د ط، دار المعارف العثمانية، الدكن- الهند، دت، ص: 49

[1] دراسات في علوم القرآن، ص: 417-418

- **التصنيف في النسخ:**

أفرد بالتصنيف في النسخ في القرآن الكريم الكثير من العلماء أبرزهم: أبو عبد القاسم بن سلام في كتابه الناسخ والمنسوخ، وسليمان ابن الأشعث بن إسحاق ابن بشير السجستاني المشهور بأبي داوود حافظ الحديث، وعلمه وعلله واسم كتابه كذلك الناسخ والمنسوخ، ومنهم أيضا أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يوسف المرادي النحوي المصري المعروف بالنحاس نسبة إلى من يعمل بالنحاس، وكتابه في هذا الصنف من العلوم عنوانه الناسخ والمنسوخ في كتاب الله واختلاف العلماء في ذلك، ومحمد بن القاسم بن محمد بن بشار الإمام أبو بكر ابن الانباري النحوي اللغوي وكتابه الناسخ والمنسوخ، ومكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ وكتابه هو الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، وقد حققه أحمد حسن فرحات، وله كتاب ثاني بعنوان الإيجاز لناسخ القرآن ومنسوخه وكذلك أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي وكتابه في الناسخ والمنسوخ الذي نال به درجة الدكتوراه سنة 1408 هـ[2]، وغيرهم كثير ممن منّ عليهم الله بفضله وعلمه الذين تطرقوا لهذا العلم الذي لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله من دون دراية ورعاية به.

[2] أنظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ص: 270-271

د) أسباب النزول:

أ) تعريف هذا العلم:

أنزل الله تعالى كتابه العزيز هداية للناس من ضلال وإصلاحهم من فساد وزيغ، وهذا هو السبب الإجمالي لنزول قوله تعالى: "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" [البقرة– الآية: 185]، لكن هذا السبب قد تجتمع إليه أسباب أخرى ترتبط بالآية عينها وهو السبب الخاص الذي يعنى به العلماء تحت الباب الذي يسمونه "سبب النزول".

وتعريف أسباب النزول أنها: ما نزل القرآن بشأن وقت وقوعه[1].

أو هي: "كل قول أو فعل أو سؤال ممن عاصروا التنزيل نزل بشأنه القرآن"[2].

والقرآن بهذا الاعتبار على قسمين:

أولا: قرآن نزل إبتداء من غير سبب مباشر بل هو مرتبط بالسبب العام ومصلحة العباد.

ثانيا: قرآن نزل بسبب من الأسباب التي ودت في التعريف فيضيف إليها سببا خاصا إلى السبب العام، وهذا القسم في القرآن أقل من الأول[3].

ت) أمثلة عن أسباب نزول القرآن:

1) القول: قال ابن عباس رضي الله عنه: كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه راعنا، على جهة الطلب والرغبة –من المراعاة– أي: التفت إلينا، وهذا بلسان اليهود سباّ، أي اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كناّ نسبه سراّ، فالآن نسبه جهرا، فكانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم، ويضحكون فيما بينهم، فسمعهم سعد بن معاذ– وكان يعرف

---

[1] مقدمات أساسية في علوم القرآن، ص: 149

[2] المحرر في علوم القرآن: مساعد بن سليمان الطيار، ط2، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة- المملكة العربية السعودية، 1429هـ، 2008م، ص: 124

[3] مقدمات أساسية في علوم القرآن، ص: 148

لغتهم– فقال لليهود: عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لأضربنّ عنقه، فقال: لو شئتم تقولونها؟، فنزلت الآية: ونهوا عنها لئلا يقتدوا بها اليهود في اللفظ وتفصد المعنى الفاسد فيه[1].

وذكر البغوي هذه الرواية في تفسيره وقال أيضا: "قيل: هي من الرعونة، إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا له: راعنا بمعنى يا أحمق" وذكر تمام القصة[2].

2) الفعل: ومن الفعل ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل: "عبس وتولى" [عبس– الآية: 01] في ابن مكتوم الأعمى، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله رجل من عظماء قريش، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: "أترى بما أقول بأسا؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزل[3].

3) الجواب على السؤال: روى البخاري في صحيحه عن علقمة ابن عبد الله رضي الله عنه فقال: "بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرب –وهو متكئ عسيب–[4] إذ مرّ اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا"[5].

---

[1] تفسير القرطبي، ج2، ص: 293

[2] تفسير البغوي، ج1، ص: 132

[3] رواه الترميذي في باب التفسير، رقم: 3331 (الجامع الكبير سنن الترميذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترميذي، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1996م

[4] العسيب: جريدة من النخيل مستقيمة دقيقة يكشط حوضها، (لسان العرب)

[5] صحيح البخاري رقم 4721

جـ) السبيل إلى معرفة أسباب النزول: ليس من سبيل لمعرفة أسباب النزول إلاّ الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أصحابه[1]، قال الواحدي ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلاّ بالرواية والسماع ممن شهدوا التنزيل ووفقوا على الأسباب[2].

د) صيغ التعبير عن النزول: عبارة "فتنزلت، أو فأنزل" وتكون بعد ذكر الواقعة التي هي سبب النزول؛ وهذه العبارة أقوى من الدلالة المباشرة على سبب النزول لتعلقها بفاء السببية، ومن أمثلة هذه العبارة ما رواه البخاري في صحيح عن خباب رضي الله عنه قال: "كنت قينا في الجاهلية وكان لي دين على العاص بن وائل، قال: فأتاه يتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: فذرني حتى أموت ثم أنبعث، فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك، فنزلت هذه الآية: "أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال: لأوتين مالا وولدا"[3].

عبارة: "نزلت في كذا، أنزلت في كذا": وهذه العبارة أكثر استعمالا في إرادة التفسير وهي قليلة بالنسبة للعبارة السابقة، وقد اختلف العلماء في دلالتها على سبب النزول إذا وقعت من الصحابي، فبعضهم يجعلها من باب المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كالبخاري وبعضهم الآخر يجعلها من قبيل التفسير[4].

ومثال هذه العبارة في بيان سبب النزول ما رواه البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه: "أنه كان يقسم فيها قسما: إن هذه الآية: "هذان خصمان اختصموا في ربهم" [الحج- الآية: 19] نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزا في يوم بدر"[5].

---

[1] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 45

[2] أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، ط1، دار الإصلاح، الدمام- المملكة العربية السعودية، 1411 هـ، ص: 04

[3] رواه البخاري رقم 4734

[4] المحرر في علوم القرآن: مساعد بن سليمان الطيار، ص: 130 وأنظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص: 48

[5] صحيح البخاري رقم 4743

هاتان العبارتان هما ما كثر وروده عن السلف في أسباب النزول، وهناك عبارة أخرى لم أجدها فيما بحثت إلاّ ضمن شروط قبول رواية التابعي لسبب النزول بأن يقول: "سبب نزول هذه الآية كذا"[1].

أهمية معرفة أسباب النزول وفوائدها:

اعتز العلماء قديما وحديثا بعلم أسباب النزول وألفوا فيه سواء أدرجوا الأسباب في التفاسير كما هو الغالب أو أفردوا له كتبا خاصة، كابن حجر السقلاني الذي ألف "العجاب في بيان الأسباب" والسيوطي الذي كتب "لباب النقول في أسباب النزول"، وأبو الحسن الواحدي الذي له كتاب "أسباب النزول" وغيرها،...

وللعلم بأسباب النزول فوائد منها:

الإعانة في فهم الآية: قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف: رجع إلى سبب يمينه وما هيجه وأثارها"[2].

ومعرفة سبب النزول يدفع اللبس والإشكال عن معنى الآية، وقال الواحدي في أسباب النزول: "هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[3].

ومن أحسن الأمثلة على هذه الفائدة ما رواه البخاري عن عروة قال: "سألت عائشة رضي الله عنها فقالت له: أرأيت قول الله تعالى: "إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما" فو الله ما على أحد ألاّ يطوف بالصفى والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يعبدونها عند المشلّل، فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى

---

[1] دراسات في علوم القرآن، ص: 153
[2] مقدمة في أصول التفسير، ص: 47
[3] أسباب النزول، الواحدي، ص:04

الله عليه وسلم عن ذلك قالوا يا رسول الله، إنّا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: "إن الصفا والمروة من شعائر الله"[1].

فظهر أن المراد من الآية ليس نفي الجناح الذي يخالف وجوب السعي بين الصفا والمروة بل لإزالة الإشكالية عن بعض ما تحرجوا منه، ولقد كان أيضا من أسباب تحرج المسلمين أول الأمر من السعي أن الصاف والمروة كانت عليها أصنام قبل الفتح فأصابهم الحرج من أن يطوفوا بها[2].

ومن فوائد معرفة أسباب النزول تيسير حفظ القرآن الكريم وترسيخه، إذ تعلق السبب بالمسبب والأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة ونحوها أبلغ في ترسيخ حفظها[3].

كذلك معرفة من نزلت فيهم أو فيه آية النزول أو آيات من كتاب الله من شأنه أن يدفع التهم عن البريء، ويمنع إلصاق صفة من صفات المدح بغير المقصود في الآية لقطع الطريق أما القائلين في كتاب الله بأهوائهم خاصة الشيعة المتحاملين على الصحابة رضوان الله عليهم، ومن أمثلة فائدة العلم بأسباب النزول في دفع التهمة، وما رواه البخاري عن يوسف بن ماهك قال: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمان بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه "وإن الذي قال لواديه أف لكما أتعداني" [الأحقاف- الآية: 17]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: وما أنزل الله فينا شيئا من القرآن، إلاّ أن الله أنزل عذري"[4].

كذلك تكون الاستفادة من العلم بأسباب النزول في التربية والدعوى إلى الله بالنظر إلى الكيفية التي قابل الله تعالى بها الحوادث والأسئلة فيكون ذلك عونا في اتخاذ المنهج المناسب في الحياة كلها[5].

---

[1] البخاري رقم: 1643
[2] دراسات في علوم القرآن، ص: 156
[3] المرجع السابق
[4] البخاري رقم: 4827
[5] المحرر الوجيز في علوم القرآن، ص: 36

إضافة إلى معرفة رحمة الله بالعباد، وحكمته في التشريع بأن ساير الوقائع المستجدات في حياة الناس ولا يتركهم تائهين بل رحمهم بتشريع أحكام ترفع عنهم الحرج[1].

هـ) علم القراءات:

أ- تعريفه:

هو العلم بكيفيات أداء كلمات القرآن من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف والكلمات"[2].

وعرفها الزرقاني: "هو مذهب يذهب إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه مخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"[3].

وينبغي قبل أن نسترسل في الحديث عن القراءات أن نعرف بعض المصطلحات المتعلقة بها للحاجة إلى ذلك.

أ- الرواية: هي كل خلاف مختار ينسب للراوي عن الإمام مما اجتمع عليه الرواة[4]، والروايات مصدرها الوحي فهي ثابتة بالنقل.

ب-الطريق: هي كل خلاف مختار ينسب للأخذ عن الراوي[5]، وهذه أيضا سبيلها الوحي، وما تحت كل طريق طريق.

جـ-الأوجه: الأوجه هي الصور التي يجوز للقارئ أن يقرأ بواحدة منها دون إلزام بصورة معينة[6]

---

[1] المرجع نفسه والصفحة نفسها

[2] لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد الصباغ، ص: 164

[3] مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، خرج أحاديثه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1409هـ، 1989م، ج1، ص: 410

[4] علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية: نبيل بن محمد آل اسماعيل، ط1، دار التوبة، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1421هـ، 2000م، ص: 29

[5] الاختلاف بين القراءات: أحمد البيلي، ط1، دار الجيل، بيروت- لبنان، والدار السودانية، الخرطوم- السودان، ص: 85

[6] المصدر السابق، الصفحة نفسها

وبيان هذه المصطلحات كما يلي:

تكون القراءة أشمل هذه المصطلحات والقارئ هو الإمام الذي يتفرع عنه الرواة، فمثلا نافع المدني إمام صاحب قراءة روى عنه الإمام قالون وورش وغيرهم فهما راويا أخذا عن قالون، اشتهر منهم أبو نشيط محمد بن هارون وأحمد بن يزيد الحلواني[1].

ومثال الوجه الوقف العارض للسكون؛ نحو "العالمين" ففيه ثلاثة أوجه عند جميع القراء: القصر (حركتان)، والتوسط (أربع حركات)، والطول (ست حركات)، مع الإسكان المجر من الروم والإشمام، وللقارئ أن يقرأ بأي وجه من هذه الأوجه الثلاثة[2].

ب)أقسام القراءات:

أ- القراءات المتواترة:

التواتر في اللغة التتابع[3]

والتواتر في الاصطلاح نقل جماعة مستفيضة يمنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة مثلهم من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بطريق المشافهة والسماع[4].

أمّا القراءة والمتواترة فهي: "القراءة التي نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وأغلب القراءات كذلك"[5].

ب-القراءات المشهورة:

الشهرة ظهور الشيء حتى يشهره الناس[6] والقراءة المشهورة هي القراءة التي صح سندها ولم تبلغ درجة التواتر، ووافقت الرسم والعربية، واشتهرت عند القراءة فلم يعدوها من الغلط أو الشذوذ.

---

[1] أنظر: الجسر المأمون إلى رواية قالون عن طريق الشاطبية والطيبة، توفيق ابراهيم ضمرة، ط1، المكتبة الوطنية، عمان- الأردن، 1427هـ، 2006م، ص: 12

[2] أنظر الاختلاف بين القراءات، ص: 85

[3] لسان العرب مادة وتر

[4] الاختلاف بين القراءات، ص: 76

[5] الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ص: 502

[6] لسان العرب، مادة (شهر)

ومثال هذه القراءة قوله تعالى: "ما أشهدناهم خلق السماوات والأرض" [الكهف– الآية: 51][1]، بدل: "ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض" [الكهف– الآية: 51].

وتدخل في القراءات الشاذة أيضا القراءة المندرجة مثل قراءة ابن الزبير: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم" [آل عمران– الآية: 104]، والحق أن هذا النوع في الأصل باب من التفسير وليس إدراجا في القرآن[2].

وفي القرآن بالشاذ خلاف بين العلماء وأكثرهم على منعه، وكذلك اختلفوا في الاستشهاد بها في الأحكام واللغة فمهم من منع الاستشهاد بها، ومنهم من أجازه وعمل به، كالأخذ بقراءة ابن مسعود: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما"[3] [4] وليس هذا موضع بسط الكلام فيها فينظر في مظانه.

جـ) قراءة الآحاد:

والآحاد جمع وهي مشتقة من الإنفراد[5]

والآحاد من القراءات: هو ما صحّ سنده، وخالف الرسم أو العربية أو كليهما[6] أو لم يشتهر الاشتهار المذكور[7]، ومثل هذه القراءاة قراءة ابن مسعود "فصيام ثلاثة أيام متتابعات في قوله تعالى في كفارة اليمين "فصيام ثلاثة أيام" [المائدة– الآية: 89][8].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، ص: 502، وعلم القراءات، نشأته، ص: 42

[2] الاختلاف بين القراءات، ص: 111

[3] في علوم القرآن، مدخل ودراسة وتحقيق، ص: 64-66

[4] أنظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة المقدسي)، تعليق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424هـ، 2004م، ص: 137-145

[5] أنظر لسان العرب، مادة (وحد)

[6] علم القراءات، نشأته، ص: 43

[7] دراسات في علوم القرآن، ص: 356

[8] تفسير القرطبي، ج6، ص: 283

والجمهور على منع القراءات بالآحاد في الصلاة، أما في الاحتجاج بها في الأحكام الشرعية فحكمها حكم حديث الآحاد الأرجح أنها حجة ونفاه الشافعي[1].

د- القراءات الشاذة:

القراءة الشاذة هي ما فقدت الأركان الثلاثة للقراءة الصحيحة (التواتر، مخالفة الرسم العثماني، مخالفة وجوه العربية) أو فقد واحدا منها[2].

ومثال القراءة الشاذة قراءة ابن عباس وغيره "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" [التوبة- الآية: 182] من أنفسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم وأعزكم[3].

- **<u>فائدة العلم بالقراءات:</u>**

يفيد العلم بالقراءات في تعدد أوجه التفسير، وله في ذلك أثر بالغ، ومن أمثلته قوله تعالى: "إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم" [البقرة- الآية: 119]، فقرأ الجمهور "ولا تسأل" بالبناء للمجهول ومعناه أنك يا محمد غير مسؤول عن أصحاب الجحيم، وقرأ سعد الأخفش "ولا تسأل" أي إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير سائل عن أصحاب الجحيم فدلت على الفاعلية.

وقرأ نافع وحده "ولا تسأل" بالنهي عن السؤال عمن مات كافرا عاصيا تغليظا لشأنه، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه "ولن تُسأل"،وقرأ أبيّ رضي الله عنه "وما تسأل" ومعناهما يوافق معنى قراءة الجمهور بنفي المسؤولية عليهم[4].

كما أن للقراءات أثر كبير في اختلاف الأحكام الشرعية الفقهية ومثاله قوله تعالى في نساء الحيض: ولا تقربوهن حتى يطهرن" [البقرة- الآية: 222].

---

[1] دراسات في علوم القرآن....
[2] في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، السيد رزق الطويل، ص: 57
[3] تفسير البحر المحيط، ج5، ص: 221، أنظر كذلك: الاختلاف بين القراءات، ص: 110
[4] علم القراءات، نشأته، ص: 361-362

ففيها قراءتان:

- قراءة الجمهور بتخفيف الطاء "يطهرن" وهي تفيد جواز مباشرة النساء بمجرد انقطاع الدم عنهن.
- قراءة حمزة والكسائي وخلف البزار بتضعيف (تشديد) الطاء والهاء "يطهرن" وهي تفيد لزوم انتظار المنقطع عنها دم الحيض حتى تغتسل لكي تجوز مباشرتها[1].

وتفيد القراءات في استنباط قواعد النحو والبلاغة العربيين، وقد بنى عليها علماء العربية قواعد كثيرة منها قاعدة إعمال "إن" المخففة من الثقيلة إعمال "إن" الثقيلة وهي قاعدة عند البصريين من قراءة نافع وابن كثير لقوله تعالى: "وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم" [هود- الآية: 111] بـ "وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم".

و) علم المكي والمدني:

أ- تعريفه:

عاش الرسول صلى الله عليه وسلم حياته بعد البعثة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان القرآن الكريم ينزل عليه مدة ثلاثة وعشرون عاما في الحضر والسفر، وفي الليل والنهار وفي البراري والديار، وفي كل المواقع والظراب، ولم يغفل العلماء عن هذه المسألة واعتنوا بها عناية شديدة، وحتى إننا نرى في المصاحف كل السور منسوبة إلى مكان نزولها إما مكية أو مدنية، وقد جعل العلماء لمعرفة المكي والمدني طرقا أشهرها النظر إلى زمن النزول والفصل بين المكي والمدني بالهجرة.

فالمكي بهذا الاعتبار ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بغير مكة والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو لم يكن بالمدينة[2].

---

[1] المصدر نفسه، ص: 376-377

[2] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 57

وجعل الذين اتبعوا هذا التقسيم مكيا ما نزل أيضا بضواحي مكة وجوارها كمنى وعرفات والحديبية، وجعلوا من المدني ما نزل قريبا من المدينة كبدر وأحد وسلع[1].

لكن هذا التقسيم واجه بعض المشكلات كنسبة الآيات التي لم تنزل لا بمكة ولا بالمدينة، ولا قريبا منها مثل قوله تعالى: "لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة" [التوبة- الآية: 42]، فقد نزلت بتبوك[2]وهي بين الشام والمدينة[3]، ومثلها أيضا قوله تعالى: "سئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا دون الرحمان آلهة يعبدون" [الزخرف- الآية: 45] فقد نزلت بين المقدس ليلة الإسراء.

ذكر القرطبي في تفسيره أن ابن عباس وابن زيد قالا: "لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى –وهو مسجد بيت المقدس- بعث له آدم ومن ولد من المرسلين، وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم، فأذّن جبريل ثم أقام الصلاة ثم قال: "يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أجعلنا من دون الرحمان آلهة يعبدون"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أسأل فقد اكتفيت"[4].

ومن أهل العلم من عرف المكي والمدني بتعريف آخر فقالوا: المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة[5]، وميز هذا الفريق ما بُدء بـ"يا أيها الناس" فهو مكي لأن أهل مكة يومئذ الغالب عليهم الكفر فخوطبوا بـ "يا أيها الناس"، وغيرهم داخل في خطابهم باعتبار أنهم من الناس أيضا، وألحق بهذا اللفظ خطابه تعالى: "يا بني آدم" بينما جعل "يا أيها الذين آمنوا" لأهل المدينة لغلبة الإيمان عليهم وإن كان غيرهم داخلا فيهم[6].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج1، ص: 46

[2] أنظر: تفسير القرطبي، ج10، ص: 225-226

[3] تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضي الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، دط، مطبعة حكومة الكويت، 1385هـ، 1965م، ج27، ص: 87، مادة (تبوك)

[4] تفسير القرطبي، ج19، ص: 54، وتفسير البغوي، ج7، ص: 216

[5] موسوعة علوم القرآن: عبد القادر منصور، ط1، دار القلم العربي، حلب- سوريا، 1422هـ، 2002م، ص: 46

[6] المرجع نفسه، والصفحة نفسها

ومن علامات المكي والمدني أيضا أن كل سورة فيها "كلا" فهي مكية، وكل سورة تبدأ بحروف المعجم فهي مكية إلا سورة البقرة وسورة آل عمران وفي العدّ خلاف، وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فمكية إلا سورة البقرة، وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية إلاّ العنكبوت، وكل سورة فها الحدود والفرائض فهي مدنية، وكل ما فها ذكر للقرون الأولى فهي مكية[1]، وكل سورة فيها سجدة فهي مكية[2]، وللعلماء تعريف آخر للمكي والمدني قالوا: وما نزل بمكة فهو مكي، وما نزل بالمدينة فهو مدني[3].

وقد بينا أن من القرآن ما لم ينزل لا بمكة، ولا بالمدينة بل فيه ما نزل بالشام وغيرها.

ب–طرق معرفة المكي والمدني:

للعلم بالمكي والمدني طريقتان:

- أحدهما النقل عن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار أنهم شهدوا التنزيل وأقواله وهو أعلم للناس بالقرآن الكريم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

  وقد نقلت عن الصحابة رضي الله عنهم آثار في تعيين المكي والمدني، وإن لم توجد فلا بأس بأقوال التابعين إن سلمت كمن المعارض الأصح منها[4].
- والآخر الاجتهاد عند غياب المنقول بتمييز المكي من المدني بخصائص كل منهما التي سنوردها بعد هذا العنصر.

---

[1] البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج1، ص: 188-189

[2] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 60

[3] المصدر السابق، ج1، ص: 187

[4] المقدمات الأساسية لعلوم القرآن، ص: 59

جـ-خصائص المكي والمدني:

أ) خصائص المكي:

- الاهتمام بالتوحيد ومتعلقاته كالربوبية والألوهية واليوم الآخر والرسالات والبراهين على وجود الله تعالى.
- التركيز على مكارم الأخلاق كالعدل والإحسان وذم المساوئ من الطباع والأخلاق كالظلم والأذى ونحوه، وإرساء القواعد العامة للحلال والحرام، والطيب والخبيث.
- ذكر قصص الأولين من النبيين والأمم، والصالحين والطالحين للعبرة.
- قصر الفواصل بين الآيات مع إيجاز العبارة وقوة اللفظ.

ب)خصائص المدني:

- التفصيل بين العبادات والمعاملات والحدود والتنظيمات.
- التركيز على دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم وبيان ظلالهم.
- فضح أهل النفاق وبيان أحوالهم والتحذير منهم.
- طول آياته عموما بما يوافق الشرح والتفصيل لشرائع الدين[1].

د- بيان السور المكية والمدنية:

ينبغي التنبيه إلى أن ما يوجد في أول كل سورة من كونها مكية أو مدنية في المصاحف ليس توقيفيا، وإنما هو مما نقل عن السلف ومنها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف فيه.

فالسور المدنية بالاختلاف هي: سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء، وسورة المائدة وسورة الأنفال، وسورة التوبة وسورة النور، وسورة الحشر وسورة الممتحنة، وسورة الصف وسورة الجمعة، وسورة المنافقون وسورة الطلاق، وسورة التحريم وسورة البينة وسورة النصر.

[1] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 57-59

والسور المختلف فيها والراجح كونها مدنية هي: سورة المطففين وسورة الفلق وسورة الناس.
والسور المختلف فيها والراجح كونها مكية هي: سورة الفاتحة والرعد والحج والرحمان والواقعة والتغابن والإنسان، والزلزلة والعاديات والتكاثر والعصر والماعون والكوثر والإخلاص.
وما بقي من السور فهي مكية بلا خلاف[1].

- **أهمية معرفة المكي والمدني:**

نقل الزركشي في البرهان قولا لأبي القاسم الحسن بن محمد النيسابوري قال فيه: (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك)، ثم ذكر وجوه كثيرة قم قال: (هذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى)[2].

- **فوائد العلم بالمكي والمدني:**

- معرفة الناسخ والمنسوخ بمعرفة المتقدم والمتأخر.
- الاسترشاد به في تفسير القرآن الكريم إذا علم بمكان النزول يساعد في إدراك معنى الآية.
- معرفة تاريخ التشريع ومراحله المتدرجة التي برهنت على حكمة الخالق جل شأنه في مراعاة أصول الخلق والتدرج في الأحكام التي يكتبها عليهم.
- الاستفادة من أساليب القرآن الكريم في الدعوى إلى الله، فأساليبه متنوعة بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والإيجاز والإطناب حسب أحوال المخاطبين.
- معرفة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بتتبع أحواله بين مكة والمدينة من أجل الاقتضاء به في منهجه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] أنظر: البرهان للزركشي، ج1، ص: 192-193، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص: 63-64
[2] البرهان للزركشي، ج1، ص: 192

- إظهار اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم بتجاوز حفظه إلى معرفة كل متعلقاته وأحواله بدقة عجيبة وتتبع نزوله بالترتيب، وفي الليل والنهار، وفي الحضر والسفر والصيف والشتاء[1].

ي- علم الأحرف السبعة:

لقد وردت في الأحرف السبعة عدة أحاديث ثبت عن الرسول على الله عليه وسلم على أن القرآن نزل على سبعة حروف، نذكر بعضا من هذه الأحاديث:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاءة بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاء الثانية فقال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاء الثالثة فقال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا[2].

وعند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله قال أقرأني جبريل عليه السلام على حرف واحد فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[3].

ولقد جاء تعدد أقوال العلماء فيما يخص الأحرف السبعة واختلفوا فيها اختلاف كثيرا.

قال الزركشي في البرهان: "والقائلون بأنها كانت سبعا اختلفوا على أقوال أحدها أنه من المشكل الذي لا يدري معناه لأن العرب تسمي الكلمة المنظمة حرفا، وتسمي القصيدة بأسرها كلمة، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة، والحرف أيضا المعنى والجهة"[1].

---

[1] دراسات في علوم القرآن الكريم، ص: 147
[2] صحيح مسلم، رقم: 1363
[3] سبق تخريجه، ص: 35
[1] البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 213

- وعلى هذا قولهم هي نجر وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال.
- وقيل أيضا: محكم متشابه، ناسخ ومنسوخ، خصوص وعموم، وقصص.
- وقيل كذلك: مفسر ومجمل،مقدم ومؤخر، ندب وحتم، وأمثال.
- ومنها قولهم: سبع لغات متفرقة لجميع العرب، وكل حرف منها لقبيلة مشهورة.
- وكذلك القول: سبع لغات، لغة لليمين، ولغة لقريش، لغة جرهم، ولغة لهوزان، ولغة لقضاعة ولغة لتميم، ولغة لطي.
- والقول: همز، وأمالة، وفتح، وتفخيم ومد وقصر.
- وذلك القول: كلمة واحدة تعرب لسبعة أوجه حتى يكون المعنى واحد، وإن اختلف اللفظ فيها[2].

يقول ابن حيان فيما ذكره ابن عقيلة عن الخمس وثلاثين رأيا: "فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبع أحرف وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا، وكلها محتملة ويحتمل غيرها"[3].

وقد أنكر العلماء معظم هذه الأقوال وأبطلوها، فالقائلون بأنها الحلال والحرام، و... فمن أوّل بهذا التأويل فهو فاسد فهدنا منه لأنه محال أن يكون الحرف منها حراما لا ما سواه، أو حلال لا ما سواه، لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يقرأ على أنه حلال كله أو حرام كله أو أمثال كله[4].

ومثله قال ابن عطية في تفسيره[1] على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام.
وقال المرسي: "هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها، ولا عمن نقلت، ولا أدري لما خصّ كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر، مع أن كلها موجودة في القرآن؟"[2].

---

[2] الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، ط1، مركز البحوث والدراسات، الشارقة- السعودية، 1427هـ، 2006م، ص: 476-479
[3] الإتقان في علوم القرآن، ص: 333
[4] المرجع نفسه، ص: 326
[1] أنظر تفسير ابن عطية المحرر، ج1، ص: 22

فالقول الراجح أن الأحرف السبعة، سبعة أوجه في الاختلاف ورسم القراءة واحد، وهذه الأوجه هي:

- **الأول:** اختلاف الأسماء من حيث العدد والجنس.
- **الثاني:** اختلاف زمن تصريف الأفعال.
- **الثالث:** اختلاف وجوه الإعراب.
- **الرابع:** الاختلاف بالنقص والزيادة.
- **الخامس:** الاختلاف بالتقديم والتأخير.
- **السادس:** الاختلاف بالإبدال.
- **السابع:** اختلاف اللغات– اللهجات– كالفتح والإمالة والترقيق، والتفخيم، والإظهار والإدغام[3].

أماّ الغاية من نزول القرآن على سبعة أحرف فهي للتخفيف على المسلمين، وكما يبين الحديث المذكور آنفا أن الرسول كان يستزيد جبريل عليه السلام، وجبريل يزيده حتى بلغ سبعة أحرف. إلاّ أنه قد يتبادر إلى الأذهان في أن جواز القراءة على سبعة أوجه جواز التدبر في آيات القرآن كما يحلو ذلك للمرء وهذا خاطئ، إذ أن جبريل عليه السلام نزلها على الرسول صلى الله عليه وسلم حرفا حرفا، وأنه صلى الله عليه وسلم قرأ بها جميعها، وأقرأ الناس عليها وقرؤوا بها، فلا يسبقن إلى الذهن أن الأحرف السبعة راجعة إلى لغة الناس واختيارهم في ذلك كما يشاءون[1]. فقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث "هكذا أنزلت" بيان واضح على أنها بأمر من الله تعالى، وهذا فيه دلالة على الحد مع التوسيع خلافا لما ذهب إلى أن المراد بالسبعة التكثير في العدد.

♣ المبحث السادس:

---

[2] أنظر: الإتقان في علوم القرآن، ص: 333

[3] الواضح في علوم القرآن، ص: 113

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

- **الاختلاف في التفسير:**

إن المراد من علوم القرآن والتفسير التوصل إلى فهم كلام الخالق سبحانه وتعالى موجها إلى عباده، والناظر في علم التفسير يقف على ما لا مفرّ من الإقرار بوجود الاختلاف في هذا التفسير، وهي حقيقة لا ينكرها إلاّ مكابر أو عديم الاطلاع على كتب التفسير والمفسرين، وفي هذا المقام سنتطرق إلى مسألة الاختلاف في التفسير من جهتين؛ أولها هل هذا الاختلاف حقيقي أم متوهم، وثانيا هل هذا الاختلاف مطعن في القرآن أم لا.

ونحن نعلم جواب الجهة الثانية وهو السلب حتما، حيث قال الله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" [النساء- الآية: 82]، ولما كان هذا الاختلاف الواقع في التفسير يمثل موردا من موارد الشبهات التي جعل منها أعداء الإسلام بابا يتهجمون به على المسلمين، ويثيرون الفتن من خلالها ويشككونهم في كتاب ربهم، كان واجبا علينا التطرق إلى هذا الأمر، ونحيط به ما استطعنا مبينين ما يمكن أن يلتبس على البعض، ذلك في أوساط المسلمين، فكيف بمن تلقوا القرآن بغير لغته الأصل.

1- وقوع الاختلاف في تفسير القرآن:

الاختلاف في تفسير كتاب الله عز وجل واقع فعلا، لأن الكلام كله متفرع عليه، ولا شكل أن موضوع الاختلاف في تفسير القرآن الكريم نتاج الاشتغال به، وعلى هذا يكون المراد بالاختلاف في التفسير عدم اتفاق الباحثين في القرآن الكريم على دلالة الآية أو اللفظ القرآني على مراد الله تعالى منها، بحيث يتوصل المفسر إلى معنى مغاير -ولو في الظاهر- لما توصل إليه غيره.

ولما كان التفسير ينقسم عموما إلى قسمين كما أشرنا سابقا تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي فحقيقة وأسباب الاختلاف قد تتباين في كل منهما.

أ) الاختلاف الواقع في التفسير بالمأثور:

إن المراد بالاختلاف في التفسير بالمأثور هو النقل، فالاختلاف هنا هو تعدد المنقول وعدم اتفاقه في التعبير عن المراد بالآية أو اللفظ القرآني، بحيث تجد أن اللفظ القرآني الواحد، أو الآية قد أثر عنهما كثير من الأقوال التي يبدو التعارض فيها ظاهرا، ولكن إذا دقق في هذه المأثورات نجد أن الخلاف فيها راجع إلى عدة أسباب يمكن أن نبينها كما صنفها ابن تيمية في مجموع فتاواه[1]:

الصنف الأول: قد يرد اللفظ القرآني فيعبر عنه كل واحد من السلف بعبارة غير عبارة صاحبه وهذه العبارة، وهذان المعنيان صفتان يلزمان المسمى الواحد الذي يفسرانه، وبيان ذلك أن المسمى الواحد تجتمع فيه عدة معاني أو صفات، وهذا من خصائص اللغة العربية، وهي يعني ذلك تعدد ذواتها، بل الذات واحدة وليس هناك أي تعارض في التعبير عن هذه الذات بمعنى أو بآخر، طالما أن المعنيين متحققان فيها، وهذا ليس اختلافا حقيقيا.

فعندما نتأمل قوله تعالى: " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"، فإن المدعو –هو الله تعالى– مسمى واحد ولكن لما كانت أسماؤه الحسنى متعددة، كان لازم كل اسم من أسمائه أن يدل على الذات المسماة، ويدل على الصفة المتضمنة، كان دعاء العبد لربه باسمه العليم أو القدير أو السميع سائغا، فكل من هذه الأسماء يدل على ذات الله عز وجل ويدل –باللزوم– على معنى زائد لا يدل عليه الاسم الآخر، فاسم العليم يدل على الله وعلى معنى آخر هو العلم، واسم

[1] أنظر مجموعة الفتاوى، ج13، ص: 330

القدير يدل على ذات الله وعلى معنى غير الذي دلّ عليه اسم العليم ألا وهو معنى أو صفة القدرة وهكذا.

وهنا يقول ابن تيمية: "فإذا كان مقصود السائل تعيين المسمى عبرنا عنه بأي اسم كان إذا عرف مسمى هذا الإسم"، ثم يقول: "إذا عرف هذا، فالسلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر، كمن يقول: أحمد هو الحاشر والماحي والعاقب، والقدوس هو الغفور والرحيم، أي أن المسمى واحد لا أن هذه الصفة في هذه الصفة"[1].

ومن هذا يتبين لنا أن الاختلاف هنا ليس اختلاف تناقض كما يتوهم البعض بل هو اختلاف تنوع لا تعارض فيه.

الصنف الثاني: قد يرد اللفظ القرآني ويكون اسما عاما فيفسر كل من المفسرين هذا الاسم العام بذكر بعض أنواعه لينبه المستمع إليه على سبيل التمثيل لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه[2].

والحقيقة أن هذا الصنف قد تندرج تحته أصناف أخرى نذكرها فيما يلي:

التمثيل لقول عام بما قد يحتمل أن ذلك هو المراد منه: فقد يصعب أحيانا تحديد دلالة معنى ما فيلجأ المفسر إلى التمثيل لهذا العام بذكر بعض أنواعه، ومثال ذلك ما أثر في تفسير قوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم نفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات" [فاطر– الآية: 32]، حيث جاء فيه أن الظالم لنفسه أصحاب المشأمة، والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق بالخيرات السابقون، وقيل: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم[1]، وقيل: الظالم يكون صاحب الكبائر، والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته؛ فيكون: "جنات عدن يدخلونها" للذين سبقوا بالخيرات لا

---

[1] مجموع الفتاوى، ج13، ص: 335

[2] المرجع السابق

[1] أنظر: تفسير ابن كثير، ج6، ص: 546

غير[2] قال ابن تيمية: "فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع لجميع الواجبات والمنتهك للمحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات"[3].

تعدد أسباب النزول: وقد سبق وتكلمنا عنه فمن المعروف مثلا أن بعض الآيات قد ينقل أكثر من سبب نزول فيها، وإن هذا التعدد والاختلاف يحمل على أن كل سبب يمثل فردا من أفراد الحكم العام للآية وهذا الاختلاف الظاهري ليس اختلافا حقيقيا[4]، قال ابن تيمية: "وإذا عرف هذا فقول أحدهم: نزلت في كذا، لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا، إذا كان اللفظ يتناولهما"[5].

فهذه الاختلافات في حقيقتها ليست اختلاف تعارض وتضاد، وإنما هي من نوع اختلاف التنوع والتعدد.

الصنف الثالث: وهي أمور متعلقة باللفظ نفسه، مما يؤدي إلى تنازع أو تعدد الأقوال في الدلالة على معناه، ومن أمثلة ذلك:

- احتمال اللفظ لأكثر من معنى: كما يحصل بسبب الاشتراك اللفظي ومن أمثلة ما سنتعرض له في الفصل التطبيقي من هذا البحث.
- وجود ألفاظ مقاربة لمعنى اللفظ القرآني: بحيث يعبر كل واحد من المفسرين عن هذا اللفظ القرآني بأحد هذه الألفاظ المتقاربة، وهذا قد يفضي إلى توهم الاختلاف في التفسير بينما هو في الحقيقة مجرد تباين في التعبير عن المعنى القريب للفظ.

---

[2] أنظر: تفسير القرطبي، ج14، ص: 347
[3] مجموع الفتاوى، ج13، ص: 337
[4] راجع (معرفة أسباب النزول)
[5] مجموع الفتاوى، ج13، ص: 340

- **التضمين:** وهو من أسباب الاختلاف في التفسير حيث إنه من المعلوم أن العرب تضمن الفعل معنى فعلا آخر وتعديه تعديته، ويكون هذا التضمين من خلال الحروف، فمن لم يدرك هذا يعتقد خطأ أن بعض هذه الحروف قد يقوم بعضها الآخر في سياق الآية، فإذا نظرت إلى قوله تعالى: "عينا يشرب بها عباد الله" وجدت من يقول أن معنى "بها أي" منها" ويظن أن حرف "من" يقوم مقام حرف الباء في المعنى، وهذا غير صحيح، لأن فعل شرب قد ضمن معنى روي ولذلك عداه بالباء ليكون المعنى: يشرب منها ويرتوي بها، وواضح أن هذا الاختلاف في التفسير ناجم عن جهل في اللغة وأساليب العرب في التعبير[1].
- **اختلاف القراءات:** وهنا تكلمنا عنه في مبحث سابق، فقد تختلف القراءتان في لفظ قرآني فيفسر كل واحد اللفظ في كل قراءة بمعناه فينتج الاختلاف أيضا، ويمكن اعتبار هذا أيضا من اختلاف التنوع لا من اختلاف التعارض والتضاد.

وهكذا نكون قد تطرقنا لثلاثة أصناف من الاختلاف في التفسير الذي مستنده النقل، ونخن نرى أن مآل هذه الاختلافات في الغالب إلى التنوع لا إلى التضاد أو التعارض، وهذه هي السمة العامة لتفسير السلف، لا سيما الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين فالاختلاف الحقيقي في التفسير قليل عندهم عند النظر والتحقيق، قال ابن تيمية رحمه الله: "الخلاف

بين السلف في التفسير قليل بخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصحّ عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد"[1].

[1] أنظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: 404

[1] مجموعة الفتاوى، ج13، ص: 355

2- الاختلاف الواقع في التفسير بالرأي:

إن وقوع الاختلاف في هذا النوع من التفسير على وجوه عديدة كون الأسباب المؤدية إلى وقوع الاختلاف في هذا النوع كثيرة وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام حيث قال: "وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف في هذا النوع كثيرة وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام حيث قال: " وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل"[2]، وهذا الاستدلال يقوم على الاجتهاد والتفكر والاستنباط ويكون مظهر الاختلاف فيه توصل المفسرين إلى آراء متباينة في معاني ودلالات نصوص قرآنية، ويمكن رد معظم الأخطاء الاجتهادية إلى هذا الاختلاف:

الصنف الأول: اعتقاد معنى ما وحمل ألفاظ القرآن الكريم عليه، إذ أن فريقا من الذين عمدوا إلى آيات القرآن الكريم يفسرونها باجتهاداتهم قد أسرتهم اعتقادات ومعان فسلطوها على ألفاظ القرآن الكريم مراعاة لما اعتقدوه ولم ينظروا إلى ما تستحقه الألفاظ القرآنية من الدلالة والبيان، وإن لازم إتباع هذا المنهج تعدد التفاسير بتعدد الاعتقادات والأهواء والمذاهب الفاسدة[3].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا قم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.."[4].

وبناء عليه فإن الاختلاف في التفسير عند هؤلاء ناجم عن أمرين بيّنهما ابن تيمية رحمه الله فيما يلي:

الأمر الأول:

- سلب اللفظ القرآني من دلالته ومراده: ومثال ذلك ما تقدم معنا التفاسير الإشارية والباطنية، وهو هنا اختلاف حقيقي متناقض ومتعارض وليس اختلاف تنوع كالذي مر معنا في التفسير بالمأثور.

---

[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها
[3] أنظر: مناهل العرفان، ج2، ص: 49
[4] مجموع الفتاوى، ج13، ص: 358

- تحميل اللفظ القرآني ما لا يدل عليه ولا يراد منه من معاني: وهم مثل أهل بدع الباطنية يتخذون للفظ معاني لا يدل عليها.

وهذا الصنف إن من أعظم أسبابه المعتقدات والبدع الباطلة التي حملت أصحابها على تحريف الكلم عن مواضعه وتسمية ذلك تفسيرا.

الأمر الثاني:

تفسير القرآن بمجرد ما يتصور من المعنى بالعربية من غير النظر إلى المتكلم بالقرآن، أي عدم الأخذ بأن هذا اللفظ هو كلام الرب سبحانه وتعالى، وأنه أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه كلام لا يأخذ من غير دراية بعلومه كلها من سبب نزول وناسخ ومنسوخ، وتقديم وتأخير،.... وغير ذلك.

وبناء على ما تقدم يمكننا القول بأن الاختلاف واقع فعلا وأنه يؤول إلى أحد وجهين؛ أحدهما اختلاف تنوع لا تناقض فيه، والثاني اختلاف حقيقي متعارض بل ومتناقض في بعض الأحيان بحيث لا يمكن الجمع أو التوفيق بين أفراده بأي حال.

تمهيـــــــد:

لقد تبين لنا من خلال الفصلين السابقين أن اللغة العربية والقرآن الكريم وحدة لا تتجزأ، وأن لهذا القرآن العظيم أفضالا كثيرة على اللغة العربية، وأن له أبوابا ومداخل يلج منها القارئ لكتاب الله عز وجل والمتأمل فيه لإدراك أسراره ومعانيه ومكان الإعجاز، وهذه الأبواب هي التفاسير وعلوم اللغة العربية، وبعد هذا البيان فإننا نأتي إلى أهم جزء من هذه المذكرة، وهو القسم التطبيقي الذي سنحاول فيه التعرض لبعض الظواهر المشكلة في فهم القرآن الكريم، والبحث فيها في التفاسير ومقابلتها، مع ترجمة أبي بكر حمزة الجزائري الذي لا بدّ قبل الولوج إلى التطبيق من التعريف به وبمدونته.

- **التعريف بأبي بكر حمزة بالمدونة:**

1. التعريف بالمترجم:

هو أبو حمزة بن قدور من قبيلة أولاد سيدي الشيخ الثورية، التي تقع في هضاب الغرب الجزائري، ولد في الخامس عشر من جوان 1912 م في واحة بريزينة في تلال الأطلس الجزائري بولاية البيض، ترعرع في عائلة قاومت الاحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري، وفقدت مجاهدين كبارا.

وقد جمع أبو بكر حمزة بين الثقافة العربية الإسلامية بحفظ القرآن الكريم وبين الثقافة الفرنسية، فقد ذاع صيته لما قبل في ثانوية وهران وهو في الثانية عشرة مظهرا تفوقا كبيرا نال إعجاب أساتذته، كما أظهر ذكاء واسعا في الرياضيات والأدب واللغة الألمانية والانجليزية واللاتينية والفرنسية ومادة العلوم، وبعد وفاة أبيه عام 1932 م زاد اهتمامه باللغة العربية وصار معلما في ثانوية الذكور، وثانوية الإناث بسكيكدة ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة أين درس في ثانوية بيجو bugeaud في العاصمة، وأسسّ مع جماعة من الوطنيين جريدة "السلام إفريقيا"، يدافعون فيها عن كرامة الجزائريين ما زاد في لفت الانتباه إليه، وبعد وفاة مؤسس مسجد باريس الشيخ سي فدور بن غيلان مؤسس مسجد باريس، عيّن أبو بكر حمزة خليفة له عام 1959 م، وقد انتخب عام 1918 م نائبا في منطقة الواحات ثم ترأس مجلسها العـــام، وفي خلال عمادتــه لمسجد باريس مابين: 1957 و1982 اضطلع

أبو بكر حمزة بمهمة جليلة كان هدفها التعريف بالإسلام من طريق أعماله وندواته ومنشوراته، ذلك ما اكسبه احتراما على الصعيد العالمي.

وفي عام 1965 م قرر ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، وهو ما شرع فيه عام 1966م وبذل فيه جهدا كبيرا.

ساهم بمنشورات كثيرة في مجال القانون والتاريخ والفلسفة، كانت له علاقة حسنة مع شيوخ الأزهر، ومشايخ الحجاز، كما شارك في مؤتمرات كثيرة في الإتحاد السوفيتي سابقا وإفريقيا، وذاع صيته حتى تبنت اسمه جامعة في مالي وأخرى في السنغال.

وقد توفي الشيخ سي حمزة بوبكر رحمه الله في الرابع من فبراير عام 1995 م ودفن في مسقط رأسه.

خلف الشيخ بعد وفاته خمسة كتب باللغة الفرنسية هي:

- Traduction du coran
- Traité moderne de théologie
- Poème de la Burda
- Un soufi saharien Sidi Cheikh
- Trios poètes Algériens

وتذكر إدارة مكتبة عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية أنها حصلت على المكتبة الخاصة للشيخ أبو بكر حمزة وهي عبارة عن مكتبة متكاملة بها 17170 عنوانا تقع في 19821 مجلدا من كتب ودوريات وصحف ومخطوطات ووثائق وقصاصات صحفية، ودراسات وكتب نادرة ومهمة باللغات العربية والفرنسية والألمانية والروسية في مختلف المجالات، من علوم شرعية وأدبية وأدب الرحلات وتراث البلدان والأديان والعلاقات الإنسانية، وهذا كله دليل على سعة إطلاع الشيخ حمزة أبو بكر وتبحره في العلم والمعرفة والثقافة واهتمامه بالبحث والدراسة.

كما ذكر الموقع مجموعة هائلة من وثائقه الشخصية التي تدل على هوسه بالعلم والبحث وربط الصلات مع العلماء ورجال الدين وحتى رجال السياسة، ومن بين هذه الوثائق مراسلاته

مع علماء الأزهر والحجاز، وبعض المسؤولين ورجال الدين منهم: بابا الفاتيكان يوحنا بوليس الثاني .

بالإضافة إلى حواراته ومداخلاته في أثناء المؤتمرات الكثيرة التي يشارك فيها العديد من الدول.

2- التعريف بالمدونة:

هي ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، بدأ أبو بكر حمزة في إنجازها عام 1966 م كانت أول طبعة لها عام 1970م.

ولقد تقدم في ترجمته وصف أهمية الإلمام بدين الإسلام بشتى الجوانب من حفظه وتفسيره وترجمته، كما تطرقه لما كان قد اعتمد من كتب ومدونات استعان بها في إنجازه لهذه الترجمة من تفاسير وكتب السيرة والسنة والعقيدة واللغة والديانات وغيرها، مبينا الدافع الذي هو وراء جعله يترجم القرآن، والذي يمكن اختصاره في وجوب نشر دين الإسلام وتعميم تفسيره بحيث يفهمه الأعجام المسلمون وغير المسلمين، كما أنه وبالرغم من تعدد ترجمات القرآن الكريم إلاّ أنها لا تكاد تخلو من عيوب قد تبعد عن المعنى الحقيقي لعبارات القرآن الكريم.

كما أن ترجمة القرآن الكريم تتطلب الإحاطة بالعديد من العلوم خاصة اللغوية منها، ثم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلوم العقيدة والأديان والفلسفة والاجتماع، وهذا ما لا يراعيه الكثير من مترجمي القرآن.

وقد أكد أبو بكر حمزة أن نيته تكمن في تبليغ رسالة القرآن إلى الأوروبيين وغيرهم من ثقف اللغة الفرنسية وجهلوا حقيقة الإسلام.

وقد طبعت ترجمة أبي بكر حمزة عدة مرات أولها سنة 1970م، ثم طبعتها ثانية دار "فيار" fayard عام 1979 وأعادت طبعها عام 1985، ثم قامت بطبعها المؤسسة الوطنية الجزائرية للمطبوعات ENGA سنة 1989 في جزئين دون التعليقات، وفي خمسة أجزاء مع التعليقات

سنة 1994 كما طبعتها دار ميزونوف ولاروز Maisonneuve et larose بباريس عام 1995.

وقد اتبع أبو بكر حمزة منهجا وثيقا في ترجمته وافتتحها بالحديث عن القرآن الكريم، وتاريخ نزوله بمرحلتيه المكية والمدنية، ثم تكلم عن كيفية جمع القرآن ومراحل التفسير التي مرّ بها إلى يومنا هذا، ثم ترجم السور بحسب ترتيبها في المصحف، وعلّق على معظم الآيات، فيذكر أحيانا الأوجه التي يمكن أن تترجم بها الآية تبعا لاختلاف التفاسير فيها، وخلال ترجمته تجده يترجم بحسب ما قال به المفسرون، ويرجح أحيانا تفسيرا من التفاسير معللا ذلك م، وكل هذا وغيره مما قام به جعل هذه الترجمة مميزة عن غيرها.

آيات الإشكال وترجمتها

أ) ما تعلق بالنحو:

1) الألفاظ:

- **عود الضمير:**

"إنه ربي أحسن مثواي" [يوسف– الآية: 29]

قال صاحب التحرير والتنوير: وضمير (إنه) يجوز أن يعود على اسم الجلالة، ويكون (ربي) بمعنى خالقي، ويجوز أن يعود إلى معلوم من المقام وهو زوجها الذي لا يرضى بأن يمسها غيره، فهو معلوم بدلالة العرف، ويكون (ربي) بمعنى سيدي ومالكي.

وهذا من الكلام الموجه توجيها بليغا حكى به كلام يوسف عليه السلام إماّ لأن يوسف عليه السلام أتى بمثل هذا التركيب في لغة القبط، وإما لأنه أتى بتركيبين عذرين لإمتناعه فحكاهما القرآن بطريقة الإيجاز والتوجيه.

وأياّ ما كان فالكلام تعليل لامتناعه وتعريض بها في خيانة عهدها.

وفي هذا الكلام عبرة عظيمة من العفاف والتقوى وعصمة الأنبياء قبل النبوءة من الكبائر.

وذكر وصف الرب على الاحتمالين **لما يؤذن به من وجوب طاعته وشكره على نعمة الإيجاد بالنسبة إلى الله، ونعمة التربية بالنسبة لمولاه العزيز**[1].

وجاء في تفسير الطبري:

[1] تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 251-252

وقوله: "إن ربي أحسن مثواي" يقول: إن صاحبك وزوجك سيدي.... كما حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدي: (معاذ الله إنه ربي) قال: سيدي.

قال: حدثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح: (إنه ربي) قال: سيدي.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد قال: (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) قال: سيدي يعني: زوج المرأة.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: (معاذ الله إنه ربي) يعني: إطفير، يقول: إنه سيدي[1].

وقصر الفخر الرازي عود الضمير هاهنا على عزيز مصر فقال: "والضمير في قوله: {أنه} للشأن والحديث {ربي أحسن مثواي} أي ربي وسيدي ومالكي أحسن مثواي حين قال لك: أكرمي مثواه، فلا يليق بالعقل أن أجازيه على ذلك الإحسان بهذه الخيانة القبيحة {إنه لا يفلح الظالمون} الذين يجازون الإحسان بالإساءة، وقيل: أراد الزناة لأنهم ظالمون أنفسهم أو لأن عملهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه، وهاهنا سؤالات:

السؤال الأول: أن يوسف عليه السلام كان حرا، وما كان عبد لأحد فقوله: {إنه ربي} يكون كذبا وذلك ذنب وكبيرة.

والجواب أنه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر، وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبدا له وأيضا أنه رباه وأنعم عليه بالوجوه الكثيرة فعنى بكونه ربا له كونه مربيا له، وهذا من باب المعاريض الحسنة، فإن أهل الظاهر يحملونه على كونه ربا له، وهو كان يعني به أنه كان مربيا له ومنعما عليه"[2].

وعلى معنى عود الضمير على العزيز أكثر المفسرين منهم ابن كثير[3] والبغوي[4].

ولعل أبا بكر حمزة مال إلى قول الأكثرين فترجم بمعناهم فقال:

---

[1] تفسير الطبري، ج16، ص: 32

[2] تفسير فخر الرازي، ج17، ص: 113

[3] تفسير ابن كثير، ج4، ص: 379

[4] تفسير البغوي، ج4، ص: 227

Traduction:

« A Dieu ne plaise, s'écria Joseph, [**Ton mari**] et mon maitre et il m'a traité avec bonté ! »[1]

2) باب التراكيب:

أولا التقديم والتأخير :

الآية الأولى:

"ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا" [النساء– الآية: 83]

الخلاف في تفسير هذه الآية واقع من الاختلاف في تعليق الاستثناء؛ هل هو متعلق بما بعده مباشرة، أم في الآية تأخير للإستثناء عن محله.

قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته" رفع بالابتداء عند سيبويه ولا يجوز أن يظهر الخبر عنده، والكوفيون يقولون: رفع بلولا، "لاتبعتم الشيطان إلا قليلا" في هذه الآية ثلاثة أقوال، قال ابن عباس وغيره: المعنى أذاعوا به إلا قليلا منهم لم يذع ولم يفش، وقاله جماعة من النحويين: الكسائي والأخفش وأبو عبيد وأبو حاتم والطبري، وقيل: المعنى لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا منهم، عن الحسن وغيره، واختاره الزجاج قال: لأن هذا الاستنباط الأكثر يعرفه، لأنه استعلام خبر، واختار الأول الفراء قال: لأن علم السرايا إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإذاعة تكون في مضى دون بعض، قال الكلبي عنه: فلذلك استحسنت الاستثناء من الإذاعة، قال النحاس: فهذان قولان على المجاز، يريد أن في الكلام تقديما وتأخيرا، وقول ثالث بغير مجاز: يكون المعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بأن بعث

[1] le Coran: texte, traduction et commentaire, Cheikh Si Hamza Boubakeur, Paris ; Maisonneuve et Larose 1995, T2, P 591.

فيكم رسولا أقام فيكم الحجة لكفرتم وأشركتم إلاّ قليلا منكم..... وفيه قول رابع– قال الضحاك: المعنى لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلا، أي إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثوا أنفسهم بأمر من الشيطان إلاّ قليلا، يعني الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، وعلى هذا القول يكون قوله {إلاّ قليلا} مستثنى من قوله {لاتبعتم الشيطان}، قال المهدوي: **وأنكر هذا القول أكثر العلماء، إذ لولا فضل الله ورحمته لاتبع الناس كلهم الشيطان**"[1]

لكن هذا القول الذي أنكره أكثر العلماء هو ما يظهر في ترجمة أبي بكر إذ قال:

Quand leur parvient une nouvelle de sécurité ou d'alarme, ils la diffusent, s'ils l'annonçaient (tout d'abord) au prophète, ou à leurs chefs, ceux d'entre eux qui désirent être éclairés l'apprendraient alors (de la bouche même) de ces derniers.
Sans la grâce de Dieu et sa miséricorde, vous auriez suivi Satan, hormis un petit nombre[2].

والذي يستفاد من ترجمة أبي بكر حمزة أن الاستثناء واقع من الذين اتبعوا الشيطان، وقال الفخر الرازي أول ما شرع في تفسير هذه الآية: "المسألة الأولى: أن ظاهر هذا الاستثناء يوهم أن ذلك القليل وقع لا بفضل الله ولا برحمته ومعلوم أن ذلك محال"[2].

وكان الرازي ذكر الأقوال في المسألة ونسب الصواب إلى كل واحد منها من وجه، قال: "وأعلم أن الوجوه لا يمكن أن تزيد على هذه الثلاثة لأن الآية متضمن للإخبار عن هذه الأحكام الثلاثة، ويصح صرف الاستثناء إلى كل واحد منها، فثبت أن كل واحد من هذه الأقوال محتمل"[3].

---

[1] تفسير القرطبي، ج5، ص: 291

[2] T1 P 523.

[2] تفسير الفخر الرازي، ج10، ص: 202

[3] المصدر والجزء والصفحة نفسها

ثم رجع إلى القول الثالث الذي عليه ترجمة أبي بكر حمزة فقال: القول الثالث: أنه متعلق بقوله **{ولولا فضل الله عليكم ورحمته}** ومعلوم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه إلى الشيء البعيد عنه.

واعلم أن هذا القول **لا يتماشى إذا فسرنا الفضل والرحمة بشيء خاص**، وفيه وجهان: **الوجه الأول** وهو قول جماعة من المفسرين، أن **المراد بفضل الله وبرحمته في هذه الآية إنزال القرآن وبعثه محمد صلى الله عليه وسلم**، والتقدير: **ولولا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن لاتبعتم الشيطان وكفرتم بالله إلاّ قليل منكم**، فإن ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وعدم إنزال القرآن ما كان يتبع الشيطان، وما كان

يكفر بالله، وهم مثل قس ساعدة وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وهم الذين كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: ما ذكره أبو مسلم، وهو أن المراد بفضل الله وبرحمته في هذه الآية هو نصرته تعالى ومعونته اللذان عناهما المنافقون بقولهم: {فأفوز فوزا عظيما} [النساء- الآية: 73] فبيّن تعالى أنه لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين إلاّ قليل منكم، وهم أهل البصائر الناقدة والنيات القوية والعزائم المتمكنة من أفاضل المؤمنين الذين يعلمون أنه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا، فلأجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا، ولأجل تواتر الانهزام والانكسار يدل على كونه باطلا، بل الأمر في كونه حقا وباطلا على الدليل، وهذا أصح الوجوه وأقربها إلى التحقيق"

وهذا الكلام من الرازي بديع حسن يزيل اللبس ويحصل المعنى، وهذا الكلام هو ما ينقص ترجمة أبي بكر حمزة على سبيل التعليق خاصة أن المعنى الذي ترجم به قد يفهم منه أن الذين لو لم يتبعوا الشيطان إنما حصل لهم ذلك من غير فضل الله ورحمته، وهذا المعنى ظاهر فساده بل فيه مروق من الدين.

الآية الثانية:

"ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى" [طه- الآية: 129]

يستوقف القارئ لهذه الآية تركيبها الغريب عن المعتاد من الكلام، فيستدعي منه ذلك التأمل والتدبر والرجوع إلى كلام المفسرين لأن لا يختلط عليه المعنى، والعلة فيما يظهر من الإشكال في هذه الآية متأت من التقديم والتأخير الحاصلين فيها، وقد رجعت إلى طائفة من أقوال المفسرين في ذلك، فقال الرازي:

لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى "وفيه تقديم وتأخير"، والتقدير: لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى كان لزاما، ولا شبهة في أن الكلمة هي إخبار من الله تعالى ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ، أن أمته عليه السلام وإن كذبوا فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال، واختلفوا فيما لأجله لم يفعل ذلك بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعضهم: لأنه علم أن فيهم من يؤمن.

وقال آخرون: علم أن في نسلهم من يؤمن ولو أنزل بهم العذاب لعمهم الهلاك، وقال آخرون: المصلحة فيه خفية لا يعلمها إلاّ هو، وقال أهل السنة: له بحكم المالية أن يخص من شاء بفضله ومن شاء بعذابه من غير علة، إذ لو كان فعلة لعلة لكانت تلك العلة وإن كانت قديمة لزم قدم الفعل، وإن كانت حديثة افتقرت إلى علة أخرى ولزم التسلسل، فلهذا قال أهل التحقيق: كل شي صنيعه لا لعلة، وأما الأجل المسمى ففيه قولان: أحدهما: ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب وهو يوم بدر، وثانيهما: ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب وهو أقرب، ويكون المراد ولولا كلمة سبق تتضمن تأخير العذاب إلى الآخرة كقوله: "بل الساعة موعدهم" [القمر- الآية: 46] لكان العقاب لازما لهم فيما يقدمون عليه من تكذيب الرسول وأذيتهم له، ثم إنه تعالى لما أخبر نبيه بأنه لا يهلك أحدا قبل استيفاء أجله أمره بالصبر على ما يقولون ولا شبهة في أن المراد أن يصبر على ما يكرهه من أقوالهم، فيحتمل أن يكون ذلك قول بعضهم: إنه ساحر أو مجنون، إلى غير ذلك، ويحتمل أن يكون المراد تكذيبهم له فيما يدعيه من النبوة، ويحتمل أيضا تركهم القبول منه لأن كل ذلك مما يغمه ويؤذيه فرغبه تعالى

في الصبر وبعثه على الإدامة على الدعاء إلى الله تعالى وإبلاغ ما حمّل من الرسالة وأن لا يكون ما يقدمون عليه صارفا له عن ذلك"[1].

وقال صاحب الكشاف: "الكلمة السابقة: وهي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول: لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة، واللزوم: إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى مفعل، أي ملزم، كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه، كما قالوا: لزام خصم وأجل مسمى لا يخلو من أن يكون معطوفا على "كلمة" أو على الضمير في لكان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل[2].

وجمع ابن كثير في تفسيره بين الكلمة والأجل بالمعنى الذي ذكره سائر أهل العلم وكان كلامه أقرب إلى الوضوح ممن ذكرت قبله؛ فقال:

قال تعالى: "لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى" أي: **لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحدا إلاّ بعد قيام الحجة عليه، والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة**[3].

ولم يخرج أبو بكر حمزة في ترجمته عن أشهر الأقوال في الآية فترجم كما يلي:

Sans un arrêt déjà pris et un terme fixé antérieurement par ton seigneur, [**leur supplice] leur eût été déjà infligé**.[4]

وقد علق على اختياره في ترجمته فقال:

---

[1] تفسير الفخر الرازي، ج22، ص: 133

[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1407 هـ، ج3، ص: 96

[3] تفسير ابن كثير، ج5، ص: 324

[4] T3, P 321.

Leur eut été infigé, texte: “Sa serait attaché à eux ». nous traduisons d’après Tab, (XVI, 233), Jalâl (P. 424)[1]

وقد عزا ترجمته إلى ما فسر به الطبري[2] والجلالان.

ثانيا: الوصل والوقف:

الآية الأولى:

قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا" [آل عمران– الآية: 07].

هذه الآية مما كثر الكلام فيها والخلاف بين أهل العلم وذلك لما فيها من المعاني الدقيقة التي ينبغي التنبه إليها اتقاء الزلل والميل عن الحق في جنب الله خاصة أن الرأيين في هذه الآية يذهبان متعاكسين، ومنشأ الخلاف ها هنا قائم على الاختلاف في اعتبار الوقف على قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلاّ الله".

وقد ذكر الراغب الأصفهاني القولين في هذه الآية وانتصر لأحدهما فقال: "{وما يعلم تأويله إلاّ الله}" واختلف الناس في هذا الموضع، فمنهم من قال: **تم الكلام ها هنا، ثم الواو في قوله {والراسخون في العلم} واو الابتداء، وعلى هذا القول: لا يعلم المتشابه إلاّ الله ... وهو المختار عندنا.**

والقول الثاني: أن الكلام إنما يتم عند قوله {والراسخون في العلم} وعلى هذا القول يكون العلم المتشابه حاصلا عند الله تعالى وعند الراسخين في العلم، وهذا القول أيضا مروي عن ابن

[1] T3, P322.

[2] أنظر تفسير الطبري، ج18، ص: 398-399

عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين والذي يدل على صحة القول الأول وجوه: "وذكر ستة وجوه وانتصر بها لهذا القول يمكن الرجوع إليها في تفسيره لهذه الآية"[1].

وفصل الطاهر بن عاشور في المسألة وذكر القائلين بها في كلام طويل لم أرَ بدّا من إيراده من بعد التخفيف منه، قال: فقوله: "والراسخون" معطوف على اسم الجلالة، وفي هذا العطف تشريف عظيم: كقوله: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم" [آل عمران– الآية: 18]، وإلى هذا التفسير مال ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن سليمان، والقاسم بن محمد، والشافعية وابن فورك، والشيخ أحمد القرطبي، وابن عطية، وعلى هذا فليس في القرآن آية استأثر الله بعلمها، ويؤيد هذا أن الله أثبت للراسخين في العلم فضيلة، ووصفهم بالرسوخ، فآذن بأذن بأن لهم مزية في فهم المتشابه: لأن المحكم يستوي في علمه جميع من يفهم الكلام، ففي أي شيء رسوخهم، وحكى إمام الحرمين، عن ابن عباس: أنه قال في هذه الآية: (أنا ممن يعلم تأويله).

وقيل: الوقف على قوله: "إلا الله" وإن جملة "والراسخون في العلم" مستأنفة، وهذا مروي عن جمهور السلف، وهو قول بن عمر، وعائشة، وابن مسعود، وأبي، ورواه أشهب عن مالك في جامع العتبية، وقال عروة بن الزبير، والكسائي، والأخفش والفراء، وإليه مال فخر الدين.

ويؤيد الأول وصفهم بالرسوخ في العلم؛ فإنه دليل بيّن على أن الحكم الذي أثبت لهذا الفريق، هو حكم من معنى العلم والفهم في المعضلات، وهو تأويل المتشابه، على أن أصل العطف هو عطف المفردات دون عطف الجمل، فيكون الراسخون معطوفا على اسم الجلالة فيدخلون في أنهم يعلمون تأويله، ولو كان الراسخون مبتدأ وجملة: "يقولون ءامنا به" خبرا، لكان حاصل هذا الخبر مما يستوي فيه سائر المسلمين الذين لا زيغ في قلوبهم، فلا يكون لتخصيص الراسخين فائدة..."

---

[1] تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عبد العزيز بسيوني وآخرون، ط1، كلية الآداب جامعة طنطا (القسم الأول بتحقيق طبع عام محمد عبد العزيز بسيوني 1420هـ، 1999م) و(الثاني عام بتحقيق عال بن علي الشدي 1424هـ، 2003م) و(الثالث بتحقيق هند بنت محمد بن زاهد سردار عام 1422هـ، 2001م) ج2، ص: 152

واحتج أصحاب الرأي الثاني، وهو رأي الوقف على اسم الجلالة: بأن الظاهر أن يكون جملة "والراسخون" مستأنفة لتكون معادلا لجملة: "فأما الذين في قلوبهم زيغ"، والتقدير: وأماّ الراسخون في العلم، وأجاب التفتازاني بأن المعادل لا يلزم أن يكون مذكورا، بل قد يحذف لدلالة الكلام عليه، واحتجوا أيضا بقوله تعالى: "يقولون آمنا به كل من عند ربنا" قال الفخر:

لو كانوا عالمين بتأويله لم يكن لهذا الكلام فائدة؛ إذ أن الإيمان بما ظهر معناه أمر غير غريب وسنجيب عن هذا عند الكلام على هذه الجملة، وذكر الفخر حججا أخر غير مستقيمة...

وعلى الاختلاف في محمل العطف في قوله تعالى: "والراسخون في العلم" إنبنى اختلاف بين علماء الأمة في تأويل ما كان متشابها: من آيات القرآن، ومن صحاح الأخبار، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فكان رأي فريق منهم الإيمان بها، وعلى إبهامها وإجمالها، وتفويض العلم بكنه المراد منها إلى الله تعالى، وهذه طريقة سلف علمائنا، قبل ظهور شكوك الملحدين أو المتعلمين، وذلك في عصر الصحابة والتابعين وبعض عصر تابعيهم، ويعبر عنها بطريقة السلف، ويقولون: طريقة السلف أسلم، أي أشد سلامة لهم من أن يتأولوا تأويلات لا يدري مدى ما تفضي إليه من أمور لا تليق بجلال الله تعالى ولا تتسق مع ما شرعه للناس منع الشرائع، ومع ما رأوا من اقتناع أهل عصرهم بطريقتهم، وانصرافهم عن التعمق في طلب التأويل....[1]

ويتبين من خلال كلام المفسرين أن الاختلاف في هذا الوقف قد يزل فيه أقوام إن لم يحذروا في تدبّر الحكمة منه في كل من القولين، ولقد وجدت عند ابن كثير كلاما جيدا فيه توفيق حسن بين الرأيين فقال:

"...ومن العلماء من فصل في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: "ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا" [يوسف-

[1] تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص: 163-165

الآية: 100]، وقوله: "هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله" [الأعراف– الآية: 53] أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلاّ الله عز وجل، ويكون قوله: {والراسخون في العلم} مبتدأ و{يقولون آمنا به} خبره، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: "نبئنا بتأويله" [يوسف– الآية: 36] أي بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على {والراسخون في العلم} لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار..."[1].

وقد اقتصر المترجم على معنى واحد وهو اختصاص الله جل ثناؤه بعلم المتشابه، فقال:

"... Alors que son interprétion relève uniquement du savoir divin. Ceux qui ont approfondi la science diront: "nous y ajoutons foi! Tous [les versets de ce livre] émanent de dieu ».[2]

ولما رجعت إلى تعليقه على الآية لم أره تطرق إلى هذه المسألة الخلافية على شدة الخلاف فيها، وهذا غريب منه إذ أقل الأحوال لو ذكر هذا الخلاف ولو اختصارا، ومن جملة ما لاحظت عند أبي بكر حمزة أنه أحيانا لا يعلق حيث يتأكد التعليق.

<u>الآية الثانية:</u>

"ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين" [يوسف– الآية: 24].

الإشكال في هذه الآية في موضع الوقف والوصل؛ هل الوقف على (همت به) والابتداء بقوله تعالى (هم بها)، أم إن الكلام موصول وهو على معنى واحد كما لا يخفى، ولا بدّ أن الآية عل المعنى الأول موقعة في ما لا تقبله النفس المؤمنة مما سيتبين من خلال أقوال أهل العلم.

---

[1] تفسير ابن كثير، ج2، ص: 10-11

[2] T1, P 305.

قال البغوي في تفسيره:

"وأما همه: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حل الهيمان وجلس منها مجلس الخائن"

وعن مجاهد قال: "حل سراويله وجعل يعالج ثيابه، وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن"(3)

وقال الضحاك: جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف، وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما"[1]

ولا حاجة إلى التأمل في هذه الأقوال حتى يجد المسلم في نفسه شيئا إذ كيف يكون من رسول هو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم (يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين)، وقد قال بعض العلماء في هذا أقوالا منها ما نقله البغوي متابعا تفسيره للآية إذ قال:

"قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد أنكر قوم هذا القول، والقول ما قال متقدموا هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء عليهم السلام من غير علم.

وزعم بعض المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام، وقال: تم الكلام عند قوله: {ولقد همت به} ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام فقال: {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه} على التقديم والتأخير، أيّ: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ولكنه رأى البرهان فم يهم.

وأنكره النحاة وقالوا: إن العرب لا تؤخر {لولا} عن الفعل، فلا تقول، لقد قمت لولا زيد، وهو يريد لولا زيد لقمت.

وقيل همت بيوسف أن يفترشها، وهم بها يوسف أي: تمنى أن تكون له زوجة.

وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين والعلم.

---

[1] البغوي، ج4، ص: 228

وقال بعضهم: "إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام"[1].

وهذه الآية إن لم يحذر في تأويلها فإن المرء لا شك قد يصيب بعض ما أصاب أهل الكتاب الأنبياء كما قالت اليهود في لوط عليه السلام وابنتيه من أنه كانت بينهم الفاحشة والذرية– والله المستعان عليهم في قولهم هذا– وإنما ذلك لقلة ما يراعون من حرمة النبيئين وعصمتهم، ولقد وجدت القرطبي فصل في هذه المسألة ووزن الأقوال وعلق عليها في كلام طويل لم أجد مهربا من نقله بطوله مع محاولة التخفيف فيه ما استطعت، قال:

"واختلف العلماء في همه، ولا خلاف أن همها كان المعصية، وأما يوسف فهمّ بها {لولا أن رأى برهان ربه} ولكن لما رأى البرهان ما همّ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء؛ قال الله تعالى: {كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} فإذا في الكلام تقديم وتأخير، أي لولا أن رأى برهان ربه همّ بها، قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: {ولقد همت به وهم بها} الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، وقال أحمد بن يحي: أي همت زليخاء بالمعصية وكانت مصرة، وهم يوسف ولم يواقع ما هم به، فبين الهمتيّن فرق، ذكر هذين القولين الهروي في كتابه.....

فهذا كله حديث نفس من غير عزم، وقيل: هم بها تمنى زوجيتها، وقيل: هم بها أي بضربها ودفعها عن نفسه، والبرهان كفه عن الضرب، إذ لو ضربها لأوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها، وقيل: إن هم يوسف كان معصية، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته، وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم، فيما ذكر القشيري أبو نصر، وابن الأنباري والنحاس والماوردي وغيرهم، قال ابن عباس: حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن، وعنه: استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه، وقال سعيد بن جبير: أطلق تكة سراويله، وقال مجاهد: حل السراويل حتى بلغ الأليتين، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته، قال ابن عباس: ولما

[1] المصدر السابق، ج4، ص: 228-229

قال: "ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب" [يوسف- الآية: 52]، قالوا: والانكفاف في مثل هذه الحالة دال على الإخلاص، وأعظم للثواب.

قلت: وهذا كان سبب ثناء الله تعالى على ذي الكفل حسب ما يأتي بيانه في "ص" إن شاء الله تعالى، وجواب "لولا" على هذا محذوف، أي لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به، ومثله "كلا لو تعلمون علم اليقين" [التكاثر- الآية: 05] وجوابه لم تتنافسوا، قال ابن عطية: روي هذا القول عن ابن عباس وجماعة من السلف، وقالوا: الحكمة في ذلك أن يكون مثلا للمذنبين ليروا أن توبتهم ترجع إلى عفر الله تعالى كما رجعت ممن هو خير منهم ولم يوقه القرب من الذنب وهذا كله على أن هم يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقة إلى أن جلس بين رجلي زليخاء وأخذ في حل ثيابه وتكته ونحو ذلك، وهي قد استلقت له، حكاه الطبري، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه هم بها، وهم أعلم بالله وبتأويل كتابه، وأشد تعظيما للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم، وقال الحسن: إن الله عز وجل لم يذكر معاصي الأنبياء ليعريهم؛ ولكنه ذكرها لكيلا تيأسوا من التوبة، قال الغزنوي: مع أن لزلة الأنبياء حكما: زيادة الوجل، وشدة الحياء بالخجل، والتخلي عن عجب العمل، والتلذذ بنعمة العفو بعد الأمل، وكونهم أئمة رجاء أهل الزلل، قال القشيري أبو نصر: وقال قوم جرى من يوسف هم وكان ذلك الهم حركة طبع من غير تصميم للعقد على الفعل؛ وما كان من هذا القبيل لا يؤخذ به العبد، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد، وتناول الطعام اللذيذ، فإذا لم يأكل ولم يشرب، ولم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس في النفس، والبرهان صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزما مصمما.

قلت: هذا قول حسن، وممن قال به الحسن، قال ابن عطية: الذي أقول به في هذه الآية إن كون يوسف نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح، ولا تظاهرت به رواية، وإذا كان كذلك فهو مؤمن قد أوتي حكما وعلما، ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلاّ الهمّ الذي هو خاطر، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكته ونحوه،

لأن العصمة مع النبوة، وما روي من أنه قيل له: تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء، فإنما معناه العدة بالنبوة فيما بعد.

قلت: ما ذكره من هذا التفصيل صحيح، لكن قوله تعالى: "وأوحينا إليه" [يوسف- الآية: 15] يدل على أنه كان نبيا على ما ذكرناه، وهو قول جماعة من العلماء، وإذا كان نبيا فلم يبق إلاّ أن يكون الهمّ الذي هم به ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر، وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخلق، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه، ويكون قوله: ويكون قوله: "وما أبرئ نفسي" [يوسف- الآية: 53] -إن كان من قول يوسف- أي من هذا الهم، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف، لمخالفة النفس لما زكي به قبل وبرئ وقد أخبر الله تعالى عن حال يوسف من حين بلوغه فقال: "ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما" [يوسف- الآية: 22] على ما تقدم بيانه، وخبر الله تعالى صدق، ووصفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا ومقدماته، وخيانة السيد والجار والأجنبي في أهله، فلما تعرض لإمرأة العزيز، ولا أجاب إلى المراودة، بل أدبر عنها وفرّ منها، حكمة خصّ بها، وعملا بمقتضى ما علمه الله"[1]

والجواب الثاني: وهو اختيار أبي حيان: أن يوسف لم يقع منه هم أصلا، بل هو منفي عنه لوجود البرهان، وهو الذي اختاره أبو حيان وغيره هو أجرى الأقوال على قواعد اللغة العربية لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب: أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: "فعلية توكلوا إن كنتم مسلمين" أي: "إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب، لأن جواب الشروط وجواب "لولا" لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلا عليه كالآية المذكورة، وكقوله: "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" أيّ إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم، وعلى هذا القول معنى الآية: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه أي: **لولا أن رآه هم**

[1] القرطبي، ج9، ص: 165-167

بها... ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لأحد الفساق والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد فارقت لولا أن عصمك الله، لا تقول: إن جواب "لولا" متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك... وبعد أن ردّ على الزجاج اعتراضا لغويا قال: "وأماّ أقوال السلف والتي ساق بعضها الإمام البغوي هنا –فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قادحة في فساق المسلمين فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدروا جواب "لولا" محذوفا ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدروا "لهمّ بها"، ولا يدل كلام العرب على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأن ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه"، ثم يقول أبو حيان: "وقد طهرنا كتابنا هذا –أي: تفسيره البحر المحيط– عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات التي وردت في هذه الصورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين"[1] [2]

وعندما نجيء إلى ترجمة أبي بكر حمزة نراه مال إلى المعنى الذي يقول بأن يوسف عليه السلام همّ بامرأة العزيز فقال في ترجمته:

Mais ils furent obsédés l'un de l'autre et il eut succombé [à la tentation] sans un signe évident de son seigneur. Nous avons ainsi agi pour détourner de lui le mal et la turpitude. Il était, en effet, du nombre de nos serviteurs sincères[1]

[1] تفسير البحر المحيط، ج05، ص: 295
[2] أضواء البيان: تفسير القرآن بالقرآن، ج3، ص: 60-62

[1] T2 P591.

وصيغة: l'un de l'autre الفرنسية تقتضي التفاعل وهو الفعل من الطرفين ثم ترجم (لولا أن رأى برهان ربه) بتقدير المحذوف أن يكون كما قال القرطبي فيما ذكرته من تفسيره: وجواب "لولا" على هذا محذوف أي "**لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما همّ به**"

وقد أورد المترجم تعليقا على ترجمته فقال:

Commentaire

Signe évident, Burhan. « Preuve, argument » : il eut selon l'exégèse, une apparition, celle de son père qui le rappela a l'ordre. Selon une autre opinion, il entendit une voix qui l'arrachât a la tentation (tab.XII, 185-191)[2]

وقد نسب هذا المعنى الذي بنى عليه ترجمته إلى الطبري، والطبري في تفسيره يورد أقوالا كثيرة ينسب كلا إلى قائله، ثم رأيته بعد ذكر القول الذي فيه أن يوسف عليه السلام لم يهمّ بامرأة العزيز، وقولا آخر قريبا منه أنكرهما ونسبهما إلى المخالفين لأقوال السلف، والمتأولين لكتاب الله[3].

والذي رأيت من مجموع ما ذكرت من التفاسير وما اطلعت عليه أن القول بأن الإخبار عن يوسف في قوله تعالى: "وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه" إنما هو على الابتداء من بعد الوقف على قوله جل جلاله: "ولقد همت به" وذلك عندي من ثلاثة أوجه:

1- أولها أنه جائز في كلام العرب تقدير خبر "لولا" عليها، ولذلك نظائر في القرآن الكريم كما تقدم.

[2] T2 P592.

[3] الطبري، ج16، ص: 38-39

2- وثانيها أن ذلك أحرى وأوفق لعصمة النبيئين وتنزيههم عن النقائص والأفعال التي تنكرها النفوس السليمة، وفي الأمر نأي بالنبيئين عليهم الصلاة والسلام عن المنفرات التي نسبت إلى بعضهم، كما نسب إلى أيوب عليه السلام الجذام وأنه أكل الدود[1]، وكذلك النفس تنتقص مما ينسب إليه الزنا والقبائح.

3- وآخرها أن هذا أنسب وأوفق لمدح الله تعالى يوسف وثنائه عليه بأنه من عباده المخلصين، وأنه استعاذ بالله لما راودته امرأة العزيز، وأنه عليه السلام لا يكذب فقال: (هي راودتني عن نفسي) فاتهمها ونفى عن نفسه القبح، ولو وقع فيه ما كان يرمي به زليخاء وحدها لينجو هو خوفا من الناس، وهو الله أخشى وأخوف، والله بهذا كله أعلم.

ثالثا مقول القول:

الآية الأولى:

"ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين" [يوسف- الآية: 52]

قال الطاهر بن عاشور: "ظاهر نظم الكلام أن الجملة من قول امرأة العزيز، وعلى ذلك حمله الأقل من المفسرين، وعزاه ابن عطية إلى فرقة من أهل التأويل، ونسب إلى الجبائي، واختاره الماوردي، وهو في موقع العلة لما تضمنته جملة "أنا راودته عن نفسه" [يوسف- الآية: 51] وما عطف عليها من إقرار ببراءة يوسف عليه السلام بما كانت رمته به، فالإشارة بذلك إلى الإقرار المستفاد من جملة أنا راودته (أي ذلك الإقرار ليعلم يوسف عليه السلام أني لم أخنه....) والتعريف في (الغيب) تعريف الجنس، تمدحت بعدم الخيانة على أبلغ وجه إذ نفت الخيانة في المغيب وهو حائل بينه وبين دفاعه عن نفسه، وحالة المغيب أمكن لمريد الخيانة أن يخون فيها من حالة الحضرة، أن الحاضر قد يتفطن لقصد الخائن فيدفع خيانته بالحجة ...

وقيل: هذا الكلام كلام يوسف عليه السلام متصل بقوله: "ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن" [يوسف- الآية: 50] .. وبذلك فسّرها مجاهد وقتادة وأبو صالح وابن

[1] انظر: هامش تفسير البغوي، ج5، ص: 339

جريج والحسن والضحاك والسدي وابن جبير، واقتصر عليه الطبري[1]، قال في الكشاف: (وكفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلام يوسف عليه السلام، ونحوه قوله: "قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم ثم قال فماذا تأمرون" [الأعراف- الآية: 109-110] وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم)، يريد أن معنى هذه الجملة أليق بأن يكون من كلام يوسف عليه السلام لأن من شأنه أن يصدر عن قلب مليء بالمعرفة"[2].

(ذلك ليعلم) من كلام يوسف، أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب في حرمته، ومحل بالغيب الحال من الفاعل أو المفعول، على معنى: وأنا غائب عنه خفى عنه عينه، أو وهو غائب عني خفى عن عيني..."[1]

وقد ذهب أبو بكر حمزة في ترجمته مذهب الكثرة الناسبة القول إلى يوسف، فقال:

Traduction :

« [J'ai ainsi exigé que la vérité fut établie] pour mon maitre sache que je ne l'ai point trahi en son absence et que Dieu déjoue la perfidie des traitres »[2]

ولم يظهر اختيار أبي بكر حمزة نسبة القول إلى يوسف في ترجمته بل في التعليق الذي أتبعها به إذ قال:

---

[1] أنظر: تفسير الطبري، ج13، ص: 20

[2] تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 292، ج13، ص: 6

[1] تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 292، ج13، ص: 6

[2] T2, P 602.

Verset 52 : nouvelle suspension dans le récit : joseph est informé de l'aveu de sa séductrice et fait une déclaration. On se méprend fréquemment sur le sujet réel représenté par le pronom personnel à la première personne de « inni », certes, moi. **Ce n'est pas l tentatrice qui parle, mais Joseph**. Tab, Zam. (XII 238 ; Zam, II 261)[3]

وقد عزا اختياره هذا إلى الطبري والزمخشري وسبق مني إيراد أقوالهما.

الآية الثانية:

"إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذالك يفعلون" [النمل- الآية: 34]

موضوع الإشكال في الآية ي نسبة قوله تعالى (وكذلك يفعلون) أهي تبع لكلام الملكة أم قول الله عز وجل تصديقا لها.

قال الطاهر بن عاشور:

"وجملة: (وكذلك يفعلون) استدلال على المستقبل بحكم الماضي على طريقة الاستصحاب وهو كالنتيجة للدليل الذي في قوله: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها"، والإشارة إلى المذكور من الإفساد وجعل الأعزة أذلة، أي فكيف نلقي بأيدينا إلى من لا يألوا إفسادا في حالنا"[1]

فدل كلامه على نسبة الكلام إلى الملكة.

وذكر الزمخشري في تفسيره الرأيين جميعا فقال:

"لما أحست منهم الميل إلى المحاربة، رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب، فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بـ: إن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وقهرا أفسدوها أي خربوها- ومن ثمة قالوا للفساد: الخربة- وأذلّوا أعزتها، وأهانوا أشرافها، وقتلوا

---

[3] Page 602,603.

[1] تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص: 266

وأسروا، فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت: وكذلك يفعلون أرادت: وهذه عادتهم المستمرة الثابتة لا تتغير، لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت، ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد.

وقيل: هو تصديق من الله، لقولها: وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم"[2].

ونرى بعد ذكر الرأيين أن الزمخشري ينكر القول الثاني بحجة احتمال أن يتعلق به أهل الفساد فيعدونه قدرا محتوما على الملوك –على مذهب القدرية– فيما يبدو يستبرئون به لأنفسهم.

وكذلك قال الرازي ذكر القولين ورجح أن القول قول الملكة: فقال: "وأما قوله: {وكذلك يفعلون} فقد اختلفوا أهو من كلامها أو من كلام الله تعالى، كالتصويب لها والأقرب أنه من كلامها، وأنها ذكرته تأكيدا لما وصفته من حال الملوك"[1].

أمّا الطبري فقد حصر نسبة هذا القول إلى الله عز وجل ونسب هذا الرأي إلى أهل التأويل كأنه غالب قولهم، فقال: "يقول تعالى ذكره: "قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان إن أمرتهم بذلك: (إن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة وغلبة (أفسدوها) يقول: خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) وذلك باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم، وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: "وكذلك يفعلون" يقول تعالى ذكره: "وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك إذا دخلوا قرية عنوة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: حدثنا القاسم: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن أبي جريج، قال: قال ابن عباس: (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) قال ابن عباس: يقول الله: "وكذلك يفعلون"."[2]

---

[2] تفسير الزمخشري، ج3، ص: 365

[1] الفخر الرازي، ج24، ص: 196

[2] تفسير الطبري، ج19، ص: 454

وكذلك اقتصر البغوي على قول واحد وهي نسبة (وكذلك يفعلون) إلى الله عز وجل فقال: {وجعلوا أعزة أهلها أذلة} أيّ: أهانوا أشرافها وكبرائها، كي يستقيم لهم الأمر، تحذرهم مسير سليمان إليهم ودخلوه بلادهم، وتناهى الخبر عنها ها هنا، فصدق الله قولها فقال: "وكذلك يفعلون" أي: كما قالت هي يفعلون[3]، وبنحو هذا قال ابن كثير[4] والسيوطي في الإتقان[5].

وبالنظر في أقوال أهل العلم في نسبة قوله تعالى "وكذلك يفعلون" يجد اختلافا قويا بينهم حتى لقد رأيتهم فريقين شبه متساويين لا يتيسر الترجيح بينهما، أما المترجم فقد مال إلى الفريق الذي جعل هذه العبارة استئنافا لقول ملكة سبأ، فقال في ترجمته:

«En vérité, dit-elle, lorsque les rois entrent dans une cité, ils ruinent et jettent dans le mépris les puissants [qui y habitent], [habituellement] ils se comportent ainsi[1]

ولا شك أن اختياره هذا شديد الفقر إلى التعليق، وذكر أقوال أهل العلم في هذا الموضع لا أن يمر عليه كأنّ ليس فيه اختلاف، وهذا الرأي عندي إنما هو بناء على فرض أن القارئ لهذه الترجمة غير ممتنع عليه أن يقرأ غيرها، وقد تكون على القول الآخر فيحصل في ذهنه أن في القرآن خلط وتباين، وهو اعتقاد لا يخفى ما فيه من الضرر على الدين.

رابعا الحذف:

في القرآن الكريم آيات فيها حذف لبعض أجزاء الكلام مما لا يتم المعنى في العادة من دون ذكره، وقد يقع هذا الحذف على كلمة رئيسة في الجملة كالفاعل أو الخبر، كما قد يقع على جزء أكبر من ذلك فيزيد الغموض في كلام الناس إذا وقع فيه مثل ذلك، ولم يخل كتاب الله من

---

[3] البغوي، ج3، ص: 159

[4] تفسير ابن كثير، ج6، ص: 189

[5] الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص: 576

[1] T3, P633.

ظاهرة الحذف هذه بتفريعاتها المختلفة فتخيرت من ذلك آيتين اثنتين مثّلت بهما لما قد يشكل من المعاني المرافقة للحذف إحداهما في سورة النور والأخرى في "فصّلت"

الآية الأولى:

قال الله تعالى: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم" [النور – الآية: 20].

وهذه الآية تامة ليس بعدها ولا قبلها كلام مذكور فيه بيان الممتنع بسبب فضل الله ورحمته كما هي العادة في كلام الناس كأن يقول قائل: لولا الدواء لهلكت، وكقوله تعالى مخبرا عن قوم موسى لما خسف بقارون: "لولا أن من الله علينا لخسف بنا" [القصص– الآية: 82].

قال أبو عبد الله القرطبي: {"ولولا فضل الله عليكم ورحمته" "فضل" رفع بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف لا تظهره العرب، وحذف جواب "لولا" لأنه قد ذكر مثله بعد، قال الله عز وجل "لولا فضل الله عليكم ورحمته" "لمسكم" أي بسبب ما قلتم في عائشة عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، وهذا عتاب من الله تعالى بليغ، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا ويرحم في الآخرة من أتاه تائبا..."[1].

وذكر ابن جرير علة أخرى لمنع التصريح بجواب لولا في هذه الآية فقال: "يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عوّاد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم، وتفضلا عليكم، فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه"[2].

أما الطاهر بن عاشور فقد فصل في هذا الحذف بكلام حسن رأيت ألاّ أفوت ذكره تعميقا للفائدة.

---

[1] تفسير القرطبي، ج12، ص: 203

[2] تفسير الطبري، ج19، ص: 115

وجواب "لولا" محذوف لقصد تهويل مضمونه فيدل تهويله على تفخيم مضمون الشرط الذي كان سببا في امتناع حصوله، والتقدير: لولا فضل الله عليكم فدفع عنكم أذى بعضكم لبعض بما شرع من الزواجر لتكالب بعضكم على بعض، ولولا رحمة الله بكم فقدر لكم تخفيضا مما شرع من الزواجر في حالة الاضطرار والعذر لما استطاع أحد أن يسكت على ما يرى من مثار الغيرة، فإذا باح بذلك أخذ بعقاب وإذا انتصف لنفسه أهلك بعضا أو سكت على ما لا على مثله يغضى ولولا أن الله تواب حكيم لما رد على من تاب فأصلح ما سلبه منه من العدالة وقبول الشهادة.

وفي ذكر وصف (الحكيم) هنا مع وصف (تواب) إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمة وهي استصلاح الناس.

وحذف جواب (لولا) للتفخيم والتعظيم وحذفه طريقة لأهل البلاغة، وقد تكرر في هذه السورة وهو مثل حذف جواب (لو)، وتقدم حذف جواب (لو) عند قوله تعالى: "ولو ترى الطين ظلموا إذ يرون العذاب" [البقرة– الآية: 165]، وجواب (لولا) لم يحضرني الآن شاهد لحذفه، وقد قال بعض الأئمة: إن (لولا) مركبة من (لو) و(لا)[1].

وإن من أبلغ الأقوال وأوجزها في هذه الآية كلام صاحب الكشاف قال: "وجواب (لولا) متروك، وتركه دالّ على أمر عظيم لا يكتنه، وربّ مسكوت عنه أبلغ من منطوق به"[2].

وقد فطن أبو بكر حمزة لهذه المسألة ولم يغفلها فجاءت ترجمته كما يلي:

وقد أردف ترجمته بتعليق قال فيه عن هذه الإضافة التي زادها فيها:

Traduction:

« en vérité, sans sa grâce et sa miséricorde envers vous, [sans] l’accueil bienveillant qu’il réserve volontiers au repenti et [169 sans] sagesse, dieu [vous aurait promptement châtié pour vos péchés][3]

---

[1] تفسير التحرير والتنوير، ج18، ص: 168

[2] تفسير الكشاف، ج3، ص: 217

[3] T3, P 497.

فنراه رجع إلى قول الطبري وتقديره للمحذوف في الآية وهو محصلة كلام أهل التفسير على اختلاف عباراتهم في هذه المسألة، ويمكن القول في هذا المقام أن أبا بكر حمزة قد أحسن بذكر تقدير المحذوف في الآية لعدم الفائدة من إبقاء الحذف عند الترجمة التي الأصل فيها الإبانة.

الآية الثانية:

قوله تعالى: "إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز" [فصلت- الآية: 41].

هذه الآية كما وردت في القرآن الكريم فيها محذوف تحدث عنه أهل العلم، فقال الطاهر بن عاشور: "أعقب تهديدهم على الإلحاد في آيات الله على وجه العموم بالتعرض إلى إلحادهم في آيات القرآن وهو من ذكر الخاص بعد العام للتنويه بخصال القرآن، وأنه ليس بعرضة لأنه يكفر به، بل هو جدير بأن يتقبل بالاقتداء والاهتداء بهديه، فلهذه الجملة اتصال في المعنى بجملة: "إن الذين يلحدون في آياتنا" [فصلت- الآية: 40] واتصال في الموقع بجملة "اعملوا ما شئتم" [فصلت- الآية: 40].

وتحديد هذين الاتصالين اختلف فيه آراء المفسرين، وعلى اختلافهم فيهما جرى اختلافهم في موقعهما من الإعراب وفي مواقع أجزائها من تصريح وتقدير.

فجعل صاحب (الكشاف) قوله: "إن الذين كفروا بالذكر" بدلا من قوله: إن الذين يلحدون في آياتنا، وهو يريد أنه إبدال المفرد من المفرد بدلا مطابقا أو بدل اشتمال، وأنه بتكرير العامل وهو حرف إنّ (وإن كانت إعادة العامل مع البدل غير مشهورة إلاّ في حرف الجر كما قال الرضيّ، فكلام الزمخشري في (المفصل) يقتضى الإطلاق، وإن كان أتى بمثالين عاملهما حرف جر.

وعلى هذا القول لا يقد خبر لأن الخبر عن المبدل منه خبر عن البدل، وهو قوله: "لا يخفون علينا" [فصلت- الآية: 40].

وعن أبي عمرو بن العلاء والكسائي وعمرو بن عبيد ما يقتضي أنهم يجعلون جملة: (إن الذين كفروا بالذكر) جملة مستقلة لأنهم جعلوا لـ (إن) خبرا، فأما أبو عمرو فقال: خبر (إن) قوله "أولئك ينادون من مكان بعيد" [فصلت- الآية: 44].

.... وأما الكسائي وعمرو بن عبيد فقدروا خبرا لاسم (إن) فقال الكسائي: الخبر محذوف دلّ

عليه قوله قبله: "أفمن يلقى في النار خير" [فصلت– الآية: 40]، فنقدر الخبر يلقون في النار مثلا، وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن الخبر، فقال عمرو: معناه أن الذين كفروا بالذكر كفروا به وإنه لكتاب عزيز، فقال عيسى: أجدت يا أبا عثمان...

والأظهر أن تكون جملة (إن الذين كفروا بالذكر) إلخ واقعة موقع التعليل للتهديد بالوعيد في قوله: "لا يخفون علينا" [فصلت– الآية: 40] والمعنى: لأنهم جديرون بالعقوبة إذ كفروا بالآيات وهي آية القرآن المؤيد بالحق وبشهادة ما أوصي إلى الرسل من قوله.

ومع (إن) موقع فاء التعليل، وخبر (إن) محذوف دلّ عليه سياق الكلام، والأحسن أن يكون تقديره بما تدل عليه جملة الحال من جلالة الذكر ونفاسته، فيكون التقدير خسروا الدنيا والآخرة، أو سفهوا أنفسهم أو نحو ذلك مما تذهب إليه نفس السامع البليغ، ففي هذا الحذف توفير للمعاني وإيجاز في اللفظ يقوم مقام عدة جمل، وحذف خبر (إن) إذا دلّ عليه دليل وارد في الكلام[1]، وأجازه سيبويه في باب ما يحسن السكوت عليه من هذه الأحرف الخمسة وتبعه الجمهور، وخالفه الفراء فشرطه بتكرار (إن)... وذكر أن العرب يقولون: (إنّ مالا وإن ولدا) أي: إن لهم.

وجملة: (وإنه لكتاب) إلخ في موضع الحال من الذكر، أي كفروا به في حاله هذا، ويجوز أن تكون الجملة عطفا على جملة: (إن الذين كفروا بالذكر) على تقدير خبر (إن) المحذوف[2].

هذه الجملة من الأقوال النفيسة في هذه الآية جمعها الطاهر بن عاشور وقد اقتطعت منها عبارات على سبيل الاختصار لا تخرج عن مجموع هذه الأقوال، غير أنني وجدت عند القرطبي كلاما أوجز في المسألة وفيه ترجيح، قال: قوله تعالى (إن الذين كفروا بالذكر لما

---

[1] سطرنا هذه العبارة الهامة تسبيقا لقول من قد يقول بغرابة بعض تراكيب القرآن الكريم وخروجها عن سنن العرب في كلامها ليتخذوا ذلك ذريعة للدعوة التي سمعناها من كثير من الباحثين أمثالنا لعدم اتخاذ القرآن الكريم مدونة للبحث في الترجمة لصعوبته الشديدة كما زعموا بناء على عدم فقههم بسنن العرب في كلامها على مثل حذف خبر (إن) إن دل عليه سياق الكلام

[2] تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص: 305-312

جاءهم) الذكر ها هنا القرآن في قول الجميع، لأن فيه ذكر ما يحتاج إليه الكلام، والخبر محذوف تقديره: هالكون أو معذّبون، وقيل: الخبر "أولئك ينادون من مكان بعيد" [فصلت– الآية: 44] واعترض قوله: {ما يقال لك} ثم رجع إلى الذكر فقال: {ولو جعلناه قرآنا أعجميا} ثم قال: {أولائك ينادون} والأول الاختيار...."[1].

فأهل العلم على ما رأينا متفقون على وجود الحذف في هذه الآية واجتهدوا في تقدير المحذوف فإذا جئنا إلى ترجمة أبي بكر حمزة نجد ما يلي:

« ceux qui se montrent incrédules [au sujet] de la mémoration lorsqu'elle leur est parvenue. Et pourtant c'est un livre puissant »[2]

وقد لاحظت في ترجمته هذه أمورا:

أولها أنه جاء بها في عبارات تبدو غير تامة فيما يظهر جليا أنه اتبع الترجمة الحرفية.

وثانيها أنه لم يجتهد في ذكر تقدير المحذوف فبقي المعنى في الترجمة مبهما.

وثالثها أنه لم يعلق على الحذف الذي في الآية على خلاف عادته في مثل هذه المسائل.

ورابعها أن أهل العلم متفقون على أن الذكر في الآية القرآن بينما ترجمة أبو بكر حمزة بالـ mémorisation وظاهر جليا أن هذا لا يفيد في معنى القرآن.

ولهذه الأمور كلها أرى أن هذه الترجمة تحتاج إلى تقويم ونظر بما يظهر المحذوف ويفيد المعنى كأن يقول مثلا:

« ceux qui se montrent incrédules [au sujet] du coran lorsqu'il leur est parvenu, et pourtant c'est un livre puissant, **Dieu leur infligera un châtiment cruel** »

---

[1] تفسير القرطبي، ج18، ص: 427-428

[2] T4, P 354.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا" [الرعد- الآية: 31].

يدرك أن فيها حذفا لما ينبغي أن يكون جوابا لحرف الشرط "لولا".

قال ابن جرير الطبري: "قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه (وهم يكفرون بالرحمن، ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) أيّ يكفرون بالله ولو سيّر لهم الجبال بهذا القرآن، وقالوا: هو من المؤخر الذي معناه التقديم، وجعلوا جواب "لو" مقدما قبلها، وذلك أن الكلام على معنى قولهم: ولو أن هذا القرآن سيرت بيه الجبال وقطعت به الأرض، لكفروا بالرحمن.

وقال آخرون: بل معناه: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) كلام مبتدأ منقطع عن قوله: (وهم يكفرون بالرحمن)، قال: وجواب "لو" محذوف استغني بمعرفة السامعين المراد من الكلام عن ذكر جوابها، قالوا: والعرب تفعل ذلك كثيرا[1]...

وذكر القرطبي في تفسيره أوجه تأويل هذه الآية ومنها حذف جواب لولا وتقديره، فقال:

قوله تعالى: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال} هذا متصل بقوله: لولا أنزل عليه آية من ربه... والجواب محذوف تقديره: لكان هذا القرآن لكن حذف إيجازا لما في ظاهر الكلام من الدلالة عليه، وقيل: الجواب متقدم وفي الكلام تقديم وتأخير أي وهم يكفرون بالرحمن لو أنزلنا القرآن وفعلنا بهم ما اقترحوا... الزجاج: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة إلى قوله: ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله (بل لله الأمر جميعا) أي هو المالك لجميع الأمور الفاعل لما يشاء منها فليس ما تلتمسونه مما يكون بالقرآن إنما يكون بأمر الله[2].

---

[1] تفسير الطبري، ج16، ص: 446-447

[2] تفسير القرطبي، ج9، ص: 318

ودائما نجد عند الطاهر بن عاشور في تفسيره مزيدا من التوسع والتفصيل، من ذلك قوله في هذه الآية:

يجوز أن تكون عطفا على جملة (كذلك أرسلناك في أمة) لأن المقصود من الجملة المعطوف عليها أن رسالته لم تكن إلاّ مثل رسالة غيره من الرسل عليهم السلام كما أشار إليه صفة (أمة قد خلت من قبلها أمم)، فتكون جملة (ولو أن قرآنا) تتمة للجواب عن قولهم: (لولا أنزل عليه آية من ربه).

ويجوز أن تكون معترضة بين جملة (قل هو ربي) وبين جملة "أفمن هو قائم على كل نفس" [الرعد- الآية: 33] كما سيأتي هنالك، ويجوز أن تكون محكية بالقول عطفا على جملة (هو ربي لا إله إلا هو) والمعنى: لو أن كتابا من الكتب السالفة اشتمل على أكثر من الهداية فكانت مصادر لإيجاد العجائب لكان هذا القرآن كذلك ولكن لم يكن القرآن كذلك، فهذا القرآن لا يتطلب منه الاشتمال على ذلك إذ ليس ذلك من سنن الكتب الإلهية.

وجواب (لو) محذوف لدلالة المقام عليه، وحذف جواب (لو) كثير في القرآن كقوله: "ولو ترى إذ وقفوا على النار" [الأنعام- الآية: 27]، وقوله: "لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم" [السجدة- الآية: 12][1].

أماّ أبو بكر حمزة فلم يخرج في ترجمته عن مجمل التأويلات وكانت ترجمته كما يلي:

« s'il [pourrait exister] un Coran grâce auquel les montagne puissent etre mises en branle, la terre pendue et les mort à parler [ce serait bien celui-ci]. Mais c'est hors de question car l'ordre appartient entièrement à Dieu »[2]

وهذا المعنى الذي ترجم به إنما هو من المعاني التي ذكرها القرطبي والطاهر بن عاشور "لكان هذا القرآن".

---

[1] التحرير والتنوير، ج13، ص: 142-143

[2] T2, P 561.

ب- ما تعلق بعلم الدلالة:

أولا الاشتراك اللفظي:

الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم كثيرة كثرة مستفيضة كالأمة التي بمعنى الفرقة من الناس والرجل القدوة، والفترة من الزمن وغير ذلك، ولقد رأيت أن أمثل لهذه الظاهرة في القرآن الكريم بلفظ "مثل" التي قد تشكل على المتدبر للقرآن ومترجمه، واخترت آيتين فيهما هذا اللفظ بمعنيين متباينين إحداهما في سورة البقرة والأخرى في الرعد.

قال تعالى في سورة البقرة:

"مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" [البقرة- الآية: 17].

قال الزمخشري في تفسيره:

لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان، ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبايا المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صلى عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء، قال الله تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون" [العنكبوت- الآية: 43].

ومن سور الإنجيل سورة الأمثال، والمثل في أصل كلامهم: بمعنى المثل، وهو النظير، يقال: مثل ومثل ومثيل، كشبه وشبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثل ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلاّ قولا فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير، فإن قلت: ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت: قد استعير

المثل استعارة الأسد للمقدام، للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا[1].

قال القرطبي:

وتقدير هذا المثل: أن الله سبحانه، شبههم في بشرائهم الضلالة بالهدى، وصيروتهم بعد التبصرة إلى العمى، بمن استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر، فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغيّ على الرشد، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر عنهم تعالى في غير هذا الموضع، والله أعلم.

وقد حكى هذا الذي قلناه فخر الدين الرازي في تفسيره عن السدي ثم قال: والتشبيه ها هنا في غاية الصحة، لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا ذلك النور فوقعوا في حيرة عظيمة فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين[2] [3].

أما الآية الأخرى التي فيها لفظ المثل فقوله تعالى:

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار" [الرعد– الآية: 35].

قال البغوي في معنى "مثل":

قوله عز وجل: {مثل الجنة التي وعد المنفقون} أي: صفة الجنة، كقوله تعالى: {ولله المثل الأعلى} [النحل– الآية: 60] أيّ: الصفة العليا، {تجري من تحتها الأنهار} أيّ: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنهار تجري من تحتها.

---

[1] الكشاف الزمخشري، ج1، ص: 72

[2] القرطبي 186/1

[3] أنظر كذلك: الرازي 73/2

وقيل: "مثل" صلة مجازها "الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار"[1]. وفصّل الرازي فخر الدين في معنى المثل في هذه الآية فقال:

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: أعلم أنه تعالى لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة، أتبعه بذكر ثواب المتقين وفي قوله{مثل الجنة} أقوال: الأول قال سيبويه "مثل الجنة" مبتدأ وخبره محذوف، والتقدير فيما قصصنا عليكم مثل الجنة.

والثاني قال الزجاج: مثل الجنة من صفتها كذا كذا.

والثالث: مثل الجنة مبتدأ وخبره تجري من تحتها الأنهار، كما تقول صفة زيد اسم.

والرابع الخبر هو قوله"أكلها دائم" لأنه الخارج عن العادة كأنه قال "مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار" كما تعلمون من حال جناتكم إلا أن هذه أكلها دائم[2].

وجاء في التحرير والتنوير:

والمثل: هنا الصفة العجيبة، قيل: هو حقيقة من معاني المثل كقوله تعالى: "ولله المثل الأعلى" [النحل– الآية: 60] وقيل: هو مستعار من المثل الذي هو الشبيه في حالة عجيبة أطلق على الحالة العجيبة غير الشبيهة لأنها جديرة بالتشبيه بها[3].

وفي الكشاف:

"مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل، وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب

سيبويه، أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة، وقال غيره: الخبر تجري من تحتها الأنهار كما تقول: صفة زيد أسمر، وقال الزجاج: معناه مثل الجنة تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد، وقرأ علي رضي الله عنه: أمثال الجنة، على

---

[1] البغوي 322/4

[2] الرازي، ج19، ص: 58

[3] التحرير والتنوير، 155/13

الجمع، أيّ صفاتها أكلها دائم كقوله: لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ، كما ينسخ في الدنيا بالشمس"[1].

وقد ظهر لنا من مجموع أقوال المفسرين أن "المثل" في آية الرعد هذه هو بمعنى "الصفة".

وإذا جئنا إلى أبي بكر حمزة في ترجمته نراه ترجم الآيتين كما يلي:

1) قوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" [البقرة- الآية: 17].

Ils ressemblent à ceux qui allument un feu. Dès que celui-ci jette sa clarté sur ce qui les entours, dieu les prive de la lumière, les abandonne dans les ténèbres, et l'incapacité de voir[2]

وقد ترجمها بمعنى التشبيه وهو الذي عليه أقوال العلماء فلا يخفى وجه الصواب في ترجمته.

وأماّ آية الرعد وهي قوله تعالى: "مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار" [الرعد- الآية: 35].

فترجمها بقوله:

Le paradis promis à ceux qui craignent Dieu est comparable [à un jardin] arrosé par des ruisseaux. Ses produits consommables et ses ombrage seront perpétuels. Telles sera la fin des hommes pieux, tandis que celle des impies sera le feu[3]

وقد أردف بتعليق قال فيه:

[à un jardin]… text, : « comme le jardin promis aux hommes pieux couleront sous lui et… ». nous ne suivons pas Sibawayhi (chef de

---

[1] الزمخشري 532/2

[2] T1, P 73.

[3] R2, P 659.

l'école des grammairiens de Basra, mort 177/793) dans l'explication qu'il donne à la construction de cette phrase. L'interprétation de l'école de Kûfa nous semble plausible. Le meilleur linguiste des commentateurs, Zam. (II,90), ne l'interprète pas autrement[1]

وقد لاحظت في تعليقه غرائب منها أنه أجمل القول ونسب الرجحان إلى مدرسة الكوفة، وفضّل الزمخشري على كل مفسر في جانب اللغة، وإن كنا لا ننكر فضله في ذلك، ولكننا لا نجزم بصحة اختياره على غيره لأفضليته في التفسير اللغوي، ثم إنه لم يبيّن مذهب أهل البصرة المرجوح عنده ولا مذهب الكوفيين، وزعم أن الزمخشري لم يفسر بغير الوجه الذي ترجم به هو رغم أننا علما خلاف ذلك من خلال ما نقلنا من الأوجه التي أوردها الزمخشري في تأويل الآية. وزيادة على هذا كله فإننا رأينا طائفة كبيرة من أقوال المفسرين منها ما ذكرنا ومنها ما لم نذكر "المثل" في الآية بمعنى "الصفة"

ثانيا الأضداد:

"والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" [البقرة– الآية: 288]

قال ابن كثير: وقد اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقراء ما هو؟ على قولين:

أحدهما: أن المراد بها: الأطهار، وقال مالك في الموطأ عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة، قال الزهري: فذكرت ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن، فقالت: صدق عروة، وقد جادلها في ذلك ناس فقالوا: إن الله تعالى يقول في كتابه: "ثلاثة قروء" فقالت عائشة: صدقتم وتدرون ما الأقراء؟ إنما الأقراء: الأطهار... وقال مالك: عن نافع، عن عدب الله بن عمر أنه كان يقول: إذا طلق الرجل امرأته فدخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت وبرئ منها، وقال مالك:

[1] T2, P 660.

وهو الأمر عندنا، وروي مثله عن ابن عباس وزيد بن ثابت، وسالم، والقاسم، وعروة، وسليمان بن يسار، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وأبان بن عثمان، وعطاء ابن أبي رباح، وقتادة، والزهري، وبقية الفقهاء السبعة، وهو مذهب مالك، والشافعي، وداود وأبي ثور، وهو رواية عن أحمد، واستدلوا عليه بقوله تعالى: "فطلقوهن لعدتهن" [الطلاق- الآية: 1] أيّ: في الأطهار، ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محتسبا، دل على أنه أحد الأقراء الثلاثة المأمور بها..

والقول الثاني: أن المراد بالأقراء: الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة ... قال الثوري: عن منصور، عن ابراهيم، عن علقمة قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاءته امرأة فقالت: إن زوجي فارقني بواحدة أو اثنتين فجاءني: "وقد وضعت مائي" وقد نزعت ثيابي وأغلقت بابي، فقال عمر لعبد الله –يعني ابن مسعود- ما ترى؟ قال: أراها امرأته، وما دون أن تحل لها الصلاة، قال عمر: وأنا أرى ذلك.

وهكذا روي عن أبي بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وأنس بن مالك، وابن مسعود، ومعاذ، وأبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعلقمة، والأسود، وابراهيم، ومجاهد، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومحمد بن سيرين، والحسن، وقتادة، والشعبي، والربيع، ومقاتل بن حيان، والسدي، ومكحول، والضحاك، وعطاء الخراساني، وأنهم قالوا: الأقراء: الحيض[1].

وذكر الطبري من قبل نحوا من مثل هذا الكلام الذي أورده ابن كثير وزاد عليه معنى ثالثا، وهو أن أصل القرء في كلام العرب: الوقت[2] لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم، وهذه العبارة تقتضي أن يكون مشتركا بين هذا وهذا، وقد ذهب إليه بعض [العلماء] الأصوليين فالله أعلم[3].

---

[1] تفسير ابن كثير، ج1، ص: 607-608

[2] أنظر تفسير الطبري، ج4، ص: 510

[3] تفسير ابن كثير، ج1، ص: 608

وذكر الطبري كلاما حسنا في بيان ما وقع من الإشكال في تفسير هذه الآية فقال: قال أبو جعفر: ولما وصفنا من معنى: "القرء" أشكل تأويل قول الله: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء "على أهل التأويل"[4].

وفصل الفخر الرازي في معاني القرء وله فيه كلام مبني على التوفيق بين معنييه المتضادين إذ قال:

"ولا خلاف أن اسم القرء يقع على الحيض والطهر، قال أبو عبيدة: الإقراء من الأضداد في كلام العرب، والمشهور أنه حقيقة فيمهما كالشفق اسم للحمرة والبياض جميعا، وقال آخرون: إنه حقيقة في الحيض، مجاز في الطهر، ومنهم من عكس الأمر، وقال قائلون: إنه موضوع بحيثية معنى واحد مشترك بين الحيض والطهر، والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال

فالأول: أن القرء هو الاجتماع، ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم، وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن، وهو قول الصمعي والأخفش والفراء والكسائي.

والقول الثاني: هو قول أبي عبيد: أنه عبارة عن الانتقال من حالة إلى حالة.

والقول الثالث: وهو قول أبي عمرو بن العلاء: أن القرء هو الوقت، ويقال: هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها[1]...

وإذا جئنا إلى ترجمة أبي بكر حمزة فنجدها كما يلي:

Les femmes divorcées sont tenues d'observer un délais d'attente correspondant à trois périodes menstruelles.[2]

[4] تفسير الطبري، ج4، ص: 511

[1] تفسير الفخر الرازي، ج، ص: 75-76

[2] T1, P 236

والمتأمل في هذه الترجمة يرى أن المترجم استعمل عبارة « périodes menstruelles » وهي عبارة ليس فيها دلالة على معنى القرء إن كان الطهر أم الحيض، وهذا الحياد في العبارة إن كان مخرجا ذكيا في تقنيات الترجمة، إلاّ أنه لا يخدم الجانب الفقهي في المسألة إذ أن القارئ الأعجمي للآية قد يحتاج إلى العلم باللحظة التي تبين المرأة من زوجها: أهي مجرد نزول الدم من الحيضة الثالثة أم هو انقطاعه منها، وكان على المترجم في أقل الأحوال أن يبين الخلاف في المسألة في التعليق لكن تعليقه لم يشر إلى ذلك.

ثالثا الغريب:

الأبّ:

ذكر أئمة اللغة "الأب" في ألفاظ غريب القرآن التي استشكل فهمها على أكثر الناس[1]، وقد وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: "وفاكهة وأبا" [عبس- الآية: 31]، وذكر المفسرون معاني اللفظة وما يدل على الإشكال في فهمها، فقال الطاهر بن عاشور في ما يشبه التخليص لأقوال السابقين:

والأب: بفتح الهمزة وتشديد الباء: الكلأ الذي ترعاه الأنعام، روي أن أبا بكر الصديق سئل عن الأبّ: ماهو؟ فقال: أي سماء تظلني، (وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به)، وروي أن عمر بين الخطاب قرأ يوما على المنبر: (فأنبتنا فيها حبا –إلى- وأبّـا –فقال: كل هذا عرفناه فما الأبّ؟ ثم رفع عصا كانت في يده، وقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأبّ ابتغوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه)، وفي (صحيح البخاري) عن عمر بعض هذا مختصرا، والذي يظهر لي في انتفاء علم الصديق والفاروق بمدلول الأبّ وهما من خلّص العرب لأحد **السببين:**

[1] أنظر: تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق ك أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1398هـ، 1978م، ص: 515، والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، دت، ص:8

إما لأن هذا اللفظ كان قد تنوسي من استعمالهم فأحياه القرآن لرعاية الفاصلة فإن الكلمة قد تشتهر في بعض القبائل، أو في بعض الأزمان وتنسى في بعضها مثل اسم السكين عند الأوس والخزرج ، فقد قال أنس بن مالك: (ما كنا نقول إلا المدية حتى سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أن سلميان عليه السلام قال: {ائتوني بالسكين أقسم الطفل بينهما نصفين}، وإماّ لأن كلمة الأبّ تطلق على أشياء كثيرة منها النبت الذي ترعاه الأنعام، ومنها التبن، ومنها يابس الفاكهة، فكان إمساك أبي بكر وعمر عن بيان معناه لعدم الجزم بما أراد الله منه على التعيين، وهل الأبّ مما يرجع إلى قوله: (متاعا لكم) أو لقوله: (ولأنعامكم) في جمع ما قسم قبله[1].

وأردف الزمخشري في الكشاف تعليقا على قول عمر بن الخطاب فقال: "فإن قلت: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته، قلت: لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل بها تكلفا عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية أن الأبّ بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له ولأنعامه، فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله –على ما تبين لك وما يشكل– مما عدد من نعمه، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأبّ، ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له، واكتف بالمعرفة الجميلة إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت، ثم أوصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن"[2].

والذي يعنينا أكثر من كلام الزمخشري نسبته الأبّ في آخر كلامه إلى مشكلات القرآن. وقد جمع ابن منظور معاني الأبّ في اللسان فقال: أبب، الأبّ وعبر عنه بعضهم بأنه المرعى، وقال الزجاج: الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية... وقال أبو حنيفة: سمى الله تعالى المرعى كله أبّا، وقال الفراء: الأب ما يأكله الأنعام، الفاكهة ما أكله الناس، والأبّ ما أكلت الأنعام... قال ثعلب: الأبّ كل ما أخرجت الأرض من النبات[3].

---

[1] التحرير والتنوير: 133/30
[2] الكشاف 705/4
[3] لسان العرب، مادة (الأبّ)

وإذ تقرر عندنا الإشكال في معنى الأبّ وتعدد الأقوال في معناه من غير ترجيح ولا غلبة أحدها على غيره فإننا ننتقل إلى ترجمة أبي بكر حمزة لننظر كيف نقلها بما تحمله من الإشكال فقال: Des fruits et des pâturages[4].

ولفظةpâturage في الفرنسية بمعنى المرعى والكلأ، فيكون أبو بكر حمزة قد أخذ بأكثر الأقوال شيوعا بين أهل اللغة وأهل التفسير.

جـ) ما تعلق ببعض علوم القرآن:

أولا النسخ:

قال تعالى: "والذين يتوفون ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج" [البقرة– الآية: 240]، وقال قبلها جل ثناؤه: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن بأنفسهم بالمعروف والله بما تعملون خبير" [البقرة– الآية: 234].

والقارئ للآيتين لا بدّ وأنه يقع في إشكال إذ الآيتان تتحدثان عن عدة الوفاة لكن كل واحدة منهما تذكر فترة غير التي تذكر الأخرى.

وقال القرطبي في المعنى العامّ لهاتين الآيتين والعلاقة بينهما: "ذهب جماعة من المفسرين في تأويل هذه الآية **أن المتوفى عنها زوجها كانت تجلس في بيت المتوفى حولا**، وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل، فإن خرجت لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة عنها **ثم نسخ الحول بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع والثمن في سورة [النساء]**[1].

وفصل قبل هذا عند تفسير الآية الثانية التي هي أسبق من الأولى في الترتيب في مسألة النسخ الواقع بين هاتين الآيتين فقال: "هذه الآية في **عدة المتوفى عنها زوجها**، وظاهرها العموم

---

[4] T 5, P 319.

[1] القربطي 225/3

ومعناها الخصوص، وحكى المهدوي عن بعض العلماء أن الآية تناولت الحوامل ثم نسخ ذلك بقوله: "وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن" [الطلاق– الآية: 04]، وأكثر

العلماء على أن هذه الآية ناسخة لقوله عز وجلّ: "**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج**" **[البقرة– الآية: 240]**، لأن الناس أقاموا برهة من الإسلام إذا توفي الرجل وخلف امرأته حاملا أوصى لها زوجها بنفقة سنة وبالسكنى ما لم تخرج فتتزوج، ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر وبالميراث، وقال قوم: **ليس في هذا نسخ وإنما هو نقصان من الحول**، كصلاة المسافر لما نقصت من الأربع إلى الاثنتين لم يكن هذا نسخ، **وهذا غلط بيّن، لأنه إذا كان حكمها أن تعتد سنة إذا لم تخرج، فإن خرجت لم تمنع، ثم أزيل هذا ولزمتها العدة أربعة أشهر وعشرا، وهذا هو النسخ**، وليست صلاة المسافر من هذا في شيء، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فزيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر بحالها، وسيأتي"[(1)].

وقد نصّ الطاهر بن عاشور على الإشكال الكبير الذي توقع فيه هاتان الآيتان فقال في التحرير والتنوير عن آية الحول.

"موقع هذه الآية هنا بعد قوله: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن" [البقرة– الآية: 243] **إلى آخرها في غاية الإشكال فإن حكمها يخالف في الظاهر حكم نظيرتها التي تقدمت، وعلى قول الجمهور هاته الآية سابقة في النزول متأخرة في الوضع.**

والجمهور على أن هذه الآية شرعت حكم تربص المتوفى عنها حولا في بيت زوجها وذلك في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بعدة الوفاة وبالميراث، روي هذا ابن عباس، وقتادة والربيع وجابر بن زيد، وفي البخاري في كتاب التفسير عن بعد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان هذه الآية: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم" قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها، قال: لا أغير

---

(1) القرطبي 173/3

شيئا منه عن مكانه يا ابن أخي، فاقتضى أن هذا هو موضع هذه الآية، وأن الآية التي قبلها ناسخة لها، وعليه فيكون وضعها هنا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم قول عثمان: لا أغير شيئا منه عن مكانه، ويحتمل أن ابن الزبير أراد بالآية الأخرى آية سورة النساء في الميراث،... واعلموا أن العرب في الجاهلية كان من عادتهم المتبعة أن المرأة إذا توفى عنها زوجها تمكث في شر بيت لها حولا، محدّة لابسة شر ثيابها متجنبة الزينة والطيب، كما تقدم في حاشية تفسير قوله تعالى: "فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف" [البقرة- الآية: 234] عن (الموطأ)، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك الغلوّ في سوء الحالة، وشرع عدة الوفاة والإحداد، فلما ثقل ذلك على الناس، في مبدأ أمر تغيير العادة، أمر الأزواج بالوصية لأزواجهم بسكنى الحول بمنزل الزوج والإنفاق عليها من ماله، إن شاءت السكنى بمنزل الزوج، فإن خرجت وأبت السكنى هنالك لم ينفق عليها، فصار الخيار للمرأة في ذلك بعد أن كان حقا عليها لا تستطيع تركه، ثم نسخ الإنفاق والوصية بالميراث[1]...."

أماّ ترجمة أبي بكر حمزة فجاءت كما يلي:

1- الآية 234:

« les veuves de ceux qui décèdent parmi vous doivent personnellement observer une viduité de quatre mois et dis nuits »[2]

وقد أردف ترجمته بتعليق لم يزد فيه على بيان مدة العدة تكرارا لما ورد في الآية الكريمة قال:

Le délai de viduité : il s'agit du délai pendant lequel la veuve doit observer le deuil ('... Hidad), le coran et la tradition fixent pour la femme ce délai à quatre mois et dix jours du décès de son époux...[3]

[1] التحرير والتنوير، 2/471-472

[2] T1, P 252.

[3] T1, P 253.

2- أماّ الآية فترجمها كما يلي:

« ceux d'entre vous qui meurent en laissant des épouses [un legs] pour leur entretien pendant une année au domicile conjugal »[1]

وقد ترجمها بمعنى الوصية بالمتاع إلى الحول ولكنه أتبع الترجمة بتعليق هو أحسن ما نرومه من كل هذا كله فقال:

Ce verset et abrogé par le verset 124 de la même sourate. Il rappel la coutume anti-islamique qui imposait a la femme une retraite d'un an[2]

فالمترجم هنا يذكر بوضوح أن هذه الآية منسوخة بالآية 234، وهنا تبرز أهمية التعليق في مثل هذه المواضع من أجل إزالة الإشكال.

ثانيا ما ظاهره التعارض:

قوله تعالى: " أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها" [النازعات- الآية: 27-30].

قال الطاهر بن عاشور في هذه الآية:

والإشارة من قوله: (بعد ذلك) إلى ما يفهم من (بناها رفع سمكها فسواها) [النازعات- الآية: 27-28]، أي بعد خلق السماء خلق الأرض مدحوة.

والعدية ظاهرها: تأخر زمان حصول الفعل، وهذه الآية أظهر في الدلالة على أن الأرض خلقت بعد السماوات وهو قول قتادة ومقاتل والسديّ، وهو الذي تؤيده أدلة علم الهيئة، وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات" [البقرة]، وما ورد من الآيات مما ظاهره كظاهر آية سورة البقرة تأويله واضح.

---

(1) T1, P 258.
(2) T1, P 259.

ويجوز أن تكون البعدية مجازا في نزول رتبة ما أضيف إليه بعد "عن رتبة ما ذكر قبله كقوله تعالى: "عتل بعد ذلك زنيم" [القلم– الآية: 13]"[1].

ولم يقتصر بن عاشور على القول بسبق السماوات على الأرض في الخلق في هذا الموضع فقط بل قد سبق به في آية البقرة فذكر الخلاف بين أهل العلم في ذلك ورجّح قوله هذا الآخر فقال: "وأرجح الأقوال أن السماء خلقت قبل الأرض لأن لفظ (بعد ذلك) أظهر في إفادة التأخر من قوله (ثم استوى إلى السماء)، ولأن أنظار علماء الهيئة ترى أن الأرض كرة انفصلت عن الشمس كبقية الكوكب السيّارة من النظام الشمسي وظاهر سفر التكوين يقتضي أن خلق السماوات متقدم على خلق الأرض"[2].

وأنا لا أحسب أن احتجاجه بآراء علماء الفلك قاطع للدلالة بأسبقية السماوات في الخلق وكذلك احتجاجه بالتوراة، ولعلّ التوقف عند ظاهر القرآن الكريم في الدلالة على أسبقية الأرض أسلم وأحرى من الاستدلال بما لا ثبات له كالمكتشفات العلمية خاصة لما لا يخرج عن دائرة النظريات كمسألة بدء الخلق وبما لا يصدق ولا يكذّب كالتوراة.

الطبري

وقوله: "والأرض بعد ذلك دحاها" اختلف أهل التأويل في معنى قوله "بعد ذلك" فقال بعضهم: "دحيت الأرض من بعد خلق السماء".

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والأرض مع ذلك دحاها، وقالوا: الأرض خلقت ودحيت قبل السماء، وذلك أن الله قال: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات"، قالوا: فأخبر الله أنه سوى السماوات بعد أن خلق ما في الأرض جميعا، قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، فلا وجه لقوله: "والأرض بعد ذلك دحاها" إلاّ ما ذكرنا من أنه مع ذلك دحاها قالوا: وذلك كقول الله عز وجل: "عتل بعد ذلك زنيم"، بمعنى: مع ذلك زنيم، وكما

---

[1] تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص: 83-87

[2] المصدر نفسه، ج1، ص: 384

يقال للرجل: أنت أحمق، وأنت بعد هذا لئيم الحسب، بمعنى: مع هذا، وكما قال جلّ ثناؤه: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر": أي من بعد الذكر...

والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدّر فيها أقواتها، لوم يدحها، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل" لأنه جل ثناؤه قال: "والأرض بعد ذلك دحاها" والمعروف من معنى "بعد" أنه خلاف معنى "قبل" وليس في دحوّ الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجها ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خلقت بعد السماوات لأن الدحوّ إنما هو البسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحو دحوا، ودحيت أدحى دحيا، لغتان[1]..

وقال تعالى في مسألة خلق السماوات والأرض في آية أخرى: "قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين (9) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (10)" [فصلت].

قال الرازي في آية البقرة:

المسألة الثالثة: قال بعض الملحدة هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء وكذا قوله: "أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين" إلى قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء" وقال في سورة النازعات: "أأنتم خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها* والأرض بعد ذلك دحاها" [النازعات- الآية: 27-30] وهذا يقتضي أن يكون خلق الأرض وبعد السماء وذكر العلماء في الجواب عنه وجوها: أحدهما: يجوز أن يكون خلق الأرض قبل خلق السماء إلاّ أنه ما دحاها حتى خلق السماء لأن التدحية هي

[1] تفسير الطبري، ج24، ص: 505-210

البسط، ولقائل أن يقول هذا أمر مشكل من وجهين: الأول أن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية وإذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء كان خلقها أيضا لا محالة متأخرا عن خلق السماء.

الثاني: أن قوله تعالى: "خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء" يدل على أن خلق الأرض وخلق كل ما فيها متقدم على خلق السماء، لكن خلق الأشياء في الأرض ولا يمكن إلاّ إذا كانت مدحوة فهذه الآية تقتضي تقدم كونها مدحوة قبل خلق السماء وحينئذ يتحقق التناقض".

والجواب: أن قوله تعالى: "والأرض بعد ذلك دحاها" يقتضي تقديم خلق السماء على الأرض ولا يقتضي أن تكون تسوية السماء مقدمة على خلق الأرض.

وعلى هذا التقدير يزول التناقض، ولقائل أن يقول: قوله تعالى: "أشدّ خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها" يقتضي أن يكون خلق السماء وتسويتها مقدم على تدحية الأرض ولكن تدحية الأرض ملازمة لخلق ذات الأرض فإن ذات السماء وتسويتها متقدمة على ذات الأرض وحينئذ يعود السؤال، وثالثها وهو الجواب الصحيح أن قوله: "ثم" ليس للترتيب ها هنا وإنما هو على جهة تعديد النعم، مثاله قول الرجل لغيره.

أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك، ولعل بعض ما أخرّه في الذكر قد تقدم فكذا ها هنا والله أعلم[1].

وتحدث ابن كثير عن هذه المسألة ونفى عن أهل العلم الخلاف فيها إلاّ قليلا منهم، فقال: "وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، كما قال في آية السجدة: {قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين* وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين* ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين* فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير

[1] الرازي، ج2، ص: 154-155

العزيز العليم" [فصلت- الآية: 9-12] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين العلماء إلاّ ما نقله ابن جرير عن قتادة: أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي[1]في تفسيره لقوله تعالى: "أأنتم خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها* والأرض بعد ذلك دحاها" [النازعات- الآية: 27-30] قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض، وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا[2]..."

وقال في آية فصلت: "وقال المنهال، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ [وذكر أمورا حتى قال] وقال: "أم السماء بناها" إلى قوله "دحاها" [النازعات- الآية: 27-30]، فذكر خلق السماء قبل [خلق] الأرض ثم قال: {قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين} إلى قوله: {طائعين} فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء؟... قال: -يعني ابن عباس-: .... خلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء، فسواهن في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، ودحيها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: {دحاها} وقوله: {خلق الأرض في يومين} فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السماوات في يومين"[3].

أما ترجمات أبي بكر للآيات التي فيها ترتيب خلق السماوات والأرض فجاءت كما يلي:

1-آية البقرة: قوله تعالى: "الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم" [البقرة- الآية: 29]

---

[1] انظر تفسير القرطبي، ج16، ص: 83

[2] ابن كثير، ج1، ص: 214

[3] المصدر نفسه، ج4، ص: 165-166

C’est lui qui a crée pour vous tout ce qui est sur la terre, puis, se tournant vers le ciel, il en fit sept régions. Il est omniscient.[1]

ولم يعلق على هذه المسألة رغم أنها أول ما ذكرت هنا فكان أحرى به لو ذكر تفاصيل المسألة.

2-**آية فصلت:** "قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك ربّ العالمين(9) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين(10) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين(11)" [فصلت- الآية: 9-10-11].

Traduction :

9- dis : « Eh quoi ! Renierez-nous celui qui créa la terre en deux jours et lui donnerez-vous des égaux ? C’est le seigneur des mondes ! ».

10- il y a placé des (chaines) montagneuses, l’a bénie, y a mesure les nourritures, en quatre jours d’égale. Voila pour ceux qui questionnent.

11- s’adressant **ensuite** au ciel qui était fumée, il lui dit ainsi qu’a la terre : « venez de gré ou de force ! – nous voici ! » dirent-ils, de plein gré[2]

وقد علق المترجم على هذه الآية تعليقا طويلا لم يتطرق فيه إلى مسألة ترتيب الخلق إلاّ في كلمات قليلة اكتفى فيها بالإشارة إلى ظاهر التعارض بين آية فصلت وآية النازعات فقال:

Commentaire :

[1] T1, P 78.
[2] T 4, P 338, 339.

Sur les phases successives de la création : ici, il est question de la création de la terre, puis du ciel ; dans d'autres passages (notamment dans la S.LXXIX, 28-30) l'ordre de la création est inverse[1]

[1] T1, P339.

الملخص بالعربية

القرآن الكريم كما قال أهل العلم معجز بلفظه ومعناه، وإعجازه اللفظي كان بلغة العرب التي بلغوا فيها في زمان نزوله مبلغا كبيرا من التطور البلاغي والفني، ولقد كانت العربية دوما جزءا لا يتجزأ من القرآن الكريم بل إنه لا يعدو قرآنا إلا بعربيته فإن ترجم إلى لغة أخرى فإنه يصير (ترجمة لمعاني القرآن).

وقد فطن المفسرون منذ زمن الصحابة إلى هذا الزمان، بل لم يجدوا بدّا من ربط الرجوع إلى اللغة بنحوها وصرفها وبلاغتها لفهم كثير من آيات الذكر الحكيم، بل وقد ظهرت تفاسير كاملة للقرآن الكريم هي تفاسير لغوية بالدرجة الأولى كالكشاف للزمخشري، ولما كان للعربية كل هذا الشأن في الإسلام، وهذه العلاقة الوطيدة بين كتاب الله وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقد جعل العلماء من شروط المفسر تضلعه من علوم اللغة العربية إضافة إلى عدد من أصول التفسير الأخرى كالعلم بالأحرف السبعة وأسباب النزول وغيرها فتجمع هذه الدراسة عددا من القضايا التي يكون فيها أحيانا إشكال في فهم لبعض آيات القرآن ومن تمّ صعوبة ترجمته لأن الترجمة منوطة بالفهم، وإذ أن هذه القضايا متنوعة تخيرت منها إحدى عشرة من مجمل ما رأيت أنه يمثل إشكالا في فهم بعض المواضع من هذا الكتاب الكريم ولقد وزعت هذه القضايا بين نحو الكلمة، ونحو الجملة وعلم الدلالة، أماّ فيما يتعلق بأصول التفسير فقد تطرقت إلى قضيتين هما الناسخ والمنسوخ وما ظاهره التعارض.

ومن أمثلة القضايا النحوية التي تطرح إشكال في فهم القرآن الكريم وشدة تنوع دلالات حروف المعاني حتى إن بعضها يصل إلى التضاد وهو المعنيان المتضادان في اللفظ الواحد كحرف "هل" للتحقيق والاستفهام و"قد" للتوكيد وللظن وغيرها، أما مثال نحو الجملة فمنه التقديم والتأخير في مثل قوله تعالى: "ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى" [طه- الآية: 129] والأصل أن "أجل مسمى" تقع بعد "من ربك" على أساس أنها معطوفة على "كلمة" ومثال الجانب الدلالي التضاد في لفظة "القرء" وما نتج عنها من شدة الاختلاف بين المفسرين والفقهاء والاشتراك اللفظي في كلمة "مثل"، ومثال ما يتعلق من الإشكالات بعلوم القرآن النسخ الذي في آية الوفاة التي نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، وما ظاهره التعارض في قضية أسبقية الخلط بين السماء والأرض.

إن هذه النماذج المتنوعة لم يكن الهدف منها شمول القرآن الكريم بها بل سعيت من خلالها إلى التنبه إلى كثرة هذه القضايا التي حظي بعضها بالدراسة في مجال الترجمة، وما زال الكثير منها لم يلج عالم الدراسات الترجمية مما يستدعي همة عالية من الباحثين من أجل تنظيم دراسة الظواهر اللغوية وغير اللغوية المتعلقة بالقرآن الكريم، بل وضرورة تعديها لتشمل الحديث النبوي الشريف الذي تعدّ نصوصه أكبر من النص القرآني بأضعاف كثيرة.

وقد لاحظت في ترجمة أبي بكر حمزة درجة كبيرة من الوعي بهذه الظواهر، وقد تنوعت طريقة تعامله معها وساعدته فيها كثيرا تعليقاته وتعقيباته، وقد تراوحت ترجماته بين الصواب وخلافه، وإصابة من أوجه التفسير على الأقل.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة على هذه المدونة بابا تتوسع من خلاله الدراسات في الترجمة المقرونة بالقرآن الكريم الذي تعددت ترجماته، وأصبحت تحتاج إلى الغربلة الترجمية المنهجية الأكاديمية التي يجب أن يطلع بها المتخصصون.

Résumé

La science de l'interprétation en domaine de la religion demeure des plus difficiles en domaine littéraire, car il n'est pas juste question d'un milieu limité par une recherche périodique comme l'est l'économie ou autre, et non spécifique à un nombre précis de la population. Mais plutôt dépendant d'une population entières qui pourrait s'étendre a des nations et a travers les siècles.

L'interprétation, que ce soit l'explication en la langue même parlé ou l'interprétation vers une autre langue demande un effort considérable sans équivoque. Ce qui est le cas des exégètes en ce qui concerne le Coran et l'islam. Et sur ce, celui qui voudrait s'invertir dans la compréhension du livre sacré devrait se consacré non seulement a l'étude de la parole de Dieu par le sens qu'elle expose dans sa terminologie en cherchant l'équivalent des mots dans les dictionnaires, mais commencer par connaitre d'abord les richesses et les pièges que pose la langue arabe. Ceci en premier lieu, et c'est après qu'il faudrait commencer a s'enfoncer avec prudence et clairvoyance dans la science qui port sur l'étude du coran, en d'autre terme essayé de comprendre partie après partie car il demeure impossible de pouvoir englober le sens correcte en se référant a de simple recherche qu'on qualifierait de superficielles, en d'autre terme s'engager dans un chemin qui prendrait une grande majorité de notre temps et parfois de nos vie. Car si on regarde par exemple les conditions que posent les savants afin qu'une traduction soit acceptable, une personne normal refuserait de s'y prêter. Et c'est a des gens qualifiés et dévoués que devrait être confié la responsabilité de ce genre de recherches.

On a choisis ce thème car ca relève du défi que se pose quotidiennement car de plus en plus confronté a une mondialisation ou globalisation, et un fort acharnement sur l'islam, chacun d'entre nous devrait s'armé du mieux qu'il peut pour faire passer le bon message que porte la religion du Coran et qui n'est d'autre que la religion de tout autres livres sacrés : car l'islam n'était pas destinée a une masse connu sous le nom de Musulmanes, mais plutôt a une masse appelée Humanité… mais la guerre qui s'impose et qui a ses effets morale dévastateur qui a pour but d'affaiblir le morale et qui a ses effets morale dévastateur qui a pour but

d’affaiblir le morale et la confiance des gens passés pour des **Radicalistes** ou des **Extrémistes** devrait être contrée par le moyen le plus puissant qui soit ceci dit la Connaissance et le savoir.. et si on regarde de prêt les problèmes qui se pose on verrait que la non exposition des faits qui « sont utilisés » pour but de déstabilisation demeure la cause directe, ceci dit ce qu’on va étudier dans notre recherche dévoile plusieurs faits – difficile a interprété – et la question directe qu’on pourrait poser comment pourrait on explique ce qui est dur a comprendre en sa langue de nature pour essayer de l’emballer sous la couverture d’une autre langue. Et surtout la langue arabe et riche en polysémie et en variation stylique qui n’ont pas d’équivoque en d’autres langues.

Cette recherche intitulée « une étude analytique et critique de la traduction de certains versets difficiles à interpréter dans le Coran » " étude de la Traduction de Hamza Abou Bakr."

Dans laquelle on traite la traduction de phénomènes différents qui représentant des difficultés pour la compréhension du livre sacré.

Afin de mieux présenter ce sujet, j’ai divisé la recherche en deux parties principales : une se base sur la recherche théorique et la deuxième est le coté pratique. La première partie a été divisée en deux chapitres et avant d’entamer la première, j’ai présenté un chapitre de longueur moyenne dans lequel j’ai essayé de donner des introductions à la fois de la langue et de religion et donner une petite idée sur les langues sémitiques en général et arabe en particulier. En outre, j’ai donné quelques détails sur les différentes religions anciennes et celles qui subsistent aujourd’hui.

Le première chapitre de cette recherche est intitulé « la relation de la langue arabe avec l’islam dans lequel je me suis déplacé de la langue en générale, au sujet des langues et des religions pour ensuite entamer la relation directe entre l’islam, le Coran et la langue arabe.

Dans ce contexte, j’ai fait preuve d’une certaine connexion spirituelle et sacrée entre l’arabe et le Coran, ce livre a pris l’arabe sur des ailes depuis sa révélation et lui a fait connaitre de nouvelles formes prospérité et de progrès.

La connaissance de la langue arabe est un moyen très basiques de comprendre le Coran. En parallèle avec l’apparition de dizaines de disciplines dérivées du Coran comme la jurisprudence, l’interprétation du Coran et les autres disciplines coraniques.

Le monde arabe a vu naitre un nombre considérable de sciences grâce au Coran, car il était question de s'adapter au mesures imposées par ce livre sacré et fallait absolument comprendre les messages qu'il contenait ces sciences sont la grammaire, la rhétorique, la sémantique, la phonologie… et qui étaient toutes basées sur le Coran comme elle se référaient à ce livre pour prouver 'exactitude de leurs règles. Il convient également de mentionner que ces sous-disciplines de la langue arabe ont été initialement créés pour un but qui est la préservation du Coran de dérivation et erreurs et que les gens s'éloigne du vrai sens que portent les termes coraniques, et la nécessité de mettre des règles pour que les gens s'égarent pas en essayant de connaitre la récitation correcte des pages de ce livre dans le deuxième chapitre, intitulé « L'interprétation du Coran: ses sous-disciplines et de sa relation avec la traduction du Coran », j'ai essayé de présenter l'une des principale disciplines nécessaires à la compréhension de ce livre, et la partie la plus intéressante au service de l'ensemble du sujet, c'est-à-dire, en parlant du sujet du Coran sous l'angle de ses problèmes de base et sous-disciplines.
J'ai commences avec la définition de « Tafsir » et sa relation avec la langue arabe. J'ai également parlé des différents types de l'interprétation du Coran et de ses différentes méthodes et bien que le Coran lui-même souligné « l'arabe » caractéristique de sa révélation, certains chercheurs ont longtemps débattu la question de mots empruntés aux langues du 7ème siècle après JC comme par exemple ces deux termes « Istabrak, Zanjabil… ». Mais la plupart des savants ont expliqué que ces mots sont en fait d'une origine non-arabe, mais ils ont été saisis en arabe et on été soumis à sa règle phonologique et donc ils sont devenus « entièrement des mots de langue arabe » connu sous le nom « Al-moarrab » ou « Addakhil ».
L'interprétation du Coran est une discipline très important de laquelle les musulmans et même les non-musulmans dépendent pour la compréhension de son enseignement et de ses significations. En effet il exige des conditions très précises et une connaissance importante dans certaines disciplines comme « Al-Makki et d'Al-Madani, les récitations coraniques, la langue arabe. »…
Ces disciplines sont les racines d'une compréhension précise et correcte du Coran, et elles aident aussi dans une grande mesure, a sa traduction dans les langues différentes.

Sa traduction a été demeure encore un sujet de discussion délicat entre les savants de l'Islam qui sont la plupart du temps non favorable au vouloir interpréter le Coran en une autre langue que plutôt opté pour l'apprentissage de la langue arabe afin de comprendre les enseignements religieux. Leurs arguments dans ce refus est que la traduction ne rend pas la signification exacte avec toutes ses nuances, en plus du fait qu'elle soit qualifiée comme « une sous-traduction », qui n'est pas la bienvenu, même dans les traductions courantes. La traduction du Coran encourage aussi bien les gens implicitement a ne pas apprendre l'are et donc manque de grands avantages.

Une autre partie des chercheurs ont montré leur acceptation de la traduction du Coran, car ils y voient le meilleur moyen de répandre l'Islam et à faciliter la compréhension du livre saint pour les musulmans non-arabes.

Dans le chapitre pratique de cette recherche, j'ai étudié la façon avec laquelle Abou Bakr Hamzu, l'un des traductions d'origine algérienne du Coran en français traduisait les versets coranique qui ont montré une certaine difficulté à comprendre leurs signification dans la langue arabe même. En essayant toujours de garder le principe de bas du fait que le Coran est rendu facile a comprendre et que ce coté difficile, et qu'on ne pouvait pas réellement connaitre le vrai sens ne demeure pas un problème ou une contradiction dans l'ensemble. Ainsi que de tels phénomènes sont pas désavantageux ou négative, mais ils sont liée à des variations sémantiques, rhétoriques chapitre avec la biographie du traducteur et la mise en place du corpus. Plus, j'ai organisé les versets sur lesquels j'ai travaillé dans onze pièces classées sous deux sections principales :

La première section relève du problème lié à la syntaxe

Quant à la deuxième de sens, l'une par rapport aux champs lexicale des mots en arabe, et l'autre par rapport a l'études des sciences coranique genre les versets abrogés et les différentes récitations le Coran et… les phénomènes liés.

En tout, le traducteur semble être au courant de la plupart des problèmes mentionnés ci-dessus et qui seraient un souci pour une bonne connaissance du ses temps coranique. Ses commentaires ont été d'une grande importance dans la facilitation de la compréhension des significations difficiles. Dans ces commentaires Abou Bakr Hamza explique, ajoute, rapporte, donne d'autre suggestions, ets. Il se réfère

aussi aux principaux livres d'interprétation du Coran, et se fonde en général sur leurs choix. Il peut aussi aller très loin dans ses commentaires en parlant de questions modernes de la parole par rapport à l'Islam…

Hamza Abou Bakr avait suivi diverses méthodes pour traiter ces différents phénomènes, tantôt il désigne le phénomène et décrit dans le commentaire. Comme par exemple ce qu'il avait fait avec le verset de « annaskh » quand il a expressément déclaré que le verset 234 de « Albakara » chapitre a abrogé le verset 240 de ce même chapitre.

Le traducteur parfois ne nommer pas la problématique posée, mais les commentaires montrent sa conscience du sujet comme ce qu'il dit après la traduction de ce verset : « Et si elle n'avait pas été la grâce d'Allah et sa miséricorde sur vous, et que dieu est plein de la bonté, le très Miséricordieux ». [Annur, verset 20] ; il s'est référé à Tabari dans l'estimation de la pièce discours supprimé du verset.il nous a semblé que Hamza Abou Bakr, parfois, n'était pas claire dans le traitement de certaines problématique, en n'ajoutant pas de commentaire en dépit de leur grand besoin de plus d'explication comme le verset : elle a dit : « en vérité, les Rois, quand ils entrent dans une ville (pays), ils la corrompent, et rendent les plus honorable parmi ses habitants des esclaves.

Et c'est ainsi qu'il font. En fait, l'expression « Et c'est ainsi qu'ils font » a été un sujet de controverse entre les avants du fait si elle est la parole d'Allah ou de la Reine. Mais, le traducteur a laissé l'ambigüité sur ce point.

Quelques commentaires de Bark Abou Hamza ne touchent pas l'essence du phénomène, en dépit, il donne des informations inutiles à propos du verset ou, du moins, des informations de moindre importance que ce qui doit être ajouté. Il a également laissé quelques notions indéterminées, alors qu'il aurait du choisir d'une des significations possibles d'un mot comme « QoR » qui a deux significations opposées « ad'dad ».

Pour conclure, il convient de dire que Abou Bakr Hamza a fait de grands efforts dans sa traduction du Coran en français, mais ses efforts manquent parfois la vérité et doivent être suivies par la recherche académique à corriger la cas échéant, et révisée périodiquement.

Ces différents modèles ne sont pas destinés à couvrir les problématiques qui s'opposent on attire l'attention sur ce sujet, car beaucoup d'entre elles demeure inconnues et lion d'être mises en question.

Ce qui nécessite un dévouement des chercheurs afin d'organise l'étude de ces phénomènes de la langue en général et de la langue du Coran spécialement, et même la nécessité d'inclure « el Hadith Sharif », dont les textes sont plus grandes que le texte Coran.

Sammary

This research is entitled « **An Analytic and Critical Study of the of translation of some difficult verses to be interpreted in the Quran into French-Translation of Abu Bakr Hamza** ». It deals il all with the translation of different phenomena which represent difficulties for understanding the Holy Quran.

In order to better present this topie, I have divided the research into two main parts : theoretical and practical. The first part has been divided in its tour into two chapters. Before starting which I tried to give introductions to both language and religion and to have a small idea about the semitic languages in general and Arabic in particular. Also, I gave some details about different religions in the ancient and the modern worlds.

The first chapter of this research is entitled “the relation of Arabic with Islam”, in wich I moved from the general speaking about languages and religions to the particular dealing with the direct relation between Islam, the Quran and the Arabic language. In this context, I made evidence of certain spiritual and sacred connection between Arabic and the Quran, this Book took Arabic out of the darkness it had long known among the evidence of a certain spiritual and sacred connection between Arabic and the Quran; this Book took Arabic out of the darkness it had long Known among the universal languages of the then epoch (i.e., pre-Islamic) to an unprecedented prosperity and progress. This progress came as a result of the great interest Arabic had been given thanks to the tremendous writings on the Quranic issues since this language was a highly basic means of understanding the Quran. In parallel with the appearance of dozens of disciplines derived form the Quran as the jurisprudence, the interpretation of the Quran and the other different Quranic disciplines.

There have been created a considerable number of Arabic language sub-disciplines as grammar, rhetoric, semantics, phonology… which were all based on the Quran as they refer to it in proving the correctness of their rules. It is also worth mentioning that those sub-disciplines of Arabic were originally created for one purpose that is the preservation of the Quran from derivation and mistakes people fall in.

In the second chapter, entitled "**the Interpretation of the Quran: its sub-disciplines and its relation with the translation of the Quran"**, I went to a more interesting part at the service of the whole topic, i.e, talking the subject of the Quran from the angle of its basic issues and sud-disciplines. I started with the definition of "Tafsir" and its relation with the Arabic language as it was descended in it. I have also spoken about the different types of the interpretation of the Quran and its various methods, the most important of which is actually the interpretation of Quran by referring to the other Quranic verses.
Although the Quran itself stressed the "Arabic" characteristic of its revelation, some scholars have long discussed the question of borrowed words from the languages of the 7th century A.D. like "Istabrak, Zanjabil…" but most scholars explars explained that such words are in fact of a non-Arabic origin, but they have been entered into Arabic and been submitted to its phonological rule and thus they became "fully Arabic" known as "Al-moarrab" or "Addakhil".

The interpretation of the Quran is a very important discipline on which Muslims and even non-Muslims depend in the understanding of its teaching and meanings. Being, it requires very accurate conditions and a large knowledge in some disciplines as "Al-makki and Al-madani, the Quranic recitations, the Arabic language…"

These disciplines help the most in comprehending the Quran but they help also to a great extent in its translation into the different languages. This translation has been, and is yet, a subject of discussion between the scholars in Islam. Since the very past of Islam, many of those scholars refused the translation of the Quran and opted instead of the learning of Arabic in order to understand the religious teachings. Their arguments in this refusal is that the translation never renders the exact meaning with all its shades and then it is qualified as "an under-translation" which is not welcome even in the common translation. The translation of the Quran also encourages people implicitly not to learn Arabic and thus miss great benefits. Another part of scholars showed their acceptance of translation the Quran because they see it as the best way to spread Islam and to facilitate the understanding of the Holy Book for the non-Arab Muslims.

In the practical chapter of this research, I have investigated the way(s) in which Abu Bakr Hamza, the Algerian translator of the Quran into French, dealt with the Quranic verses that showed a certain

difficulty in understanding their meanings by containing some linguistic and non-linguistic phenomena. The phenomena do not go against the idea the Quran is revealed to all mankind and has been made easy to understand. The existence of such phenomena is not disadvantageous or negative but it is related to semantic, rhetorical, grammatical and other language figures.

I started the third chapter with the biography of the translator and the introduction of the corpus. Then, I organized the verses on which I worked in eleven parts classified under two main sections: language and non-language bound issues. The first section itself contained grammatical, syntactical and rhetorical sub-fields. As for the second section, it contained two Quranic-science bound phenomena.

In all, the translator seems to be aware of most the above mentioned problems of understanding the Quran. His comments have been of a great importance in facilitating the comprehension of the difficult meanings. In these comments, Abu Bakr Hamza explains, add, relates, gives other suggestions, ets. He also uses them to refer to the main books of interpretation of Quran he usually bases his choices on. He may also go far in his comments in speaking about modern issues of the word in relation to Islam.

As for the translation of the verses that show difficulties, the translator has been right many times since he depends on the explaining books: sometimes he enforces his correct translation with a comment to explain the difficulty in the verse, and in other times he does not. With some verses, the translator goes away of the right meaning we think is worth choosing and does not comment to explain the problem or puts a comment in which he does not accurately uncovers the difficulty.

Hamza Abu Bakr followed varied methods in dealing with these various phenomena; sometimes he names the phenomenon and describes in the commentary as he did with the verse of "assakh" when he expressly stated that the verse 234 of "Albakara" chapter has abrogated the verse 240 from the same chapter. The translator sometimes does not name the phenomenon but the translation of the verse: **"And had it not been for the Grace of Allah and His Mercy on you, And that Allah is full of kindness, most merciful"**. [Annur, verse 20]; he referred to Tabari in estimating speech deleted part of the verse.

It appeared to us that Abu Bakr Hamza, sometimes, had not followed a clear way in dealing with some difficult phenomena in the

Quran by putting no comments despite their big need to more explanations as the verse: **she said: “Verily! Kings, when they enter a town**

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً المصادر:

1-المعجم الوسيط مجموع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ، 2004م.

2-إنجيل منى.

3-إنجيل يوحنا.

4-صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الككرمي، د ط، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1419هـ، 1998م.

5-صحيح مسلم اعتنى به أبو صهيب الككرمي، د ط، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1419هـ، 1998م.

6-الكتاب العين، مرتباعلى حروف المعجم، الخليل بن احمد الفراهدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتاب العالمية، بيروت، لبنان، 1424هـ 2003م.

7-لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل، محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، د ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت.

8-موسوعة كشاف الاصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروخ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.

ثانيا المراجع:

1-آرامية العهد القديم، قواعد ونصوص، يوسف منى فوزي ومحمد كامل ركان، د ط، المجمع العلمي، بغداد، العراق، 1427هـ 2006م.

2-أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري ط1، دار الاصلاح الدمام، المملكة العربية السعودية.
3-إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدين ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1461هـ، 2000.
4-إعجاز القرآن، أبي بكر محمد الطيب الباقلاني، تحقيق أحمد صقر، د ط، دار المعارف، مصر، د ت.
5-الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، إبراهيم محمد إبراهيم، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، 1406هـ، 1985م.
6-الأضداد رضي الدين محمد الصغاني، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر 1409هـ، 1989م.
7-الاعتبارفي الناسخ والمنسوخ في الأثار، أبو بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني، تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، د ط، دار المعارف العثمانية، الدكن، الهند.
8-الاعتصام أبو اسحاق الشاطي، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402هـ، 1982م.
9-الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط1، دار المنار، جدة، السعودية، 1406هـ، 1986م.
10- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد عبد الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مكتبة دار الثراث، القاهرة، مصر، 1404هـ، 1984م.
11- التحبير في علم التفسير، السيوطي، تحقيق فتحي عبد القادر فريد، ط1، دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1402هـ، 1982م.
12- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

13- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية ظاهرة "الأفعال الكلامية" في الثورات اللساني العربي، مسعود صحراوي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005م.

14- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1422هـ.

15- الجامع الكبير لسنن الترميدي أبو عيسى محمد بن عيسى الترميدي، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1996م.

16- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، د ط عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، 2003م.

17- الجسر المأمون إلى رواية قالون من طريق الشاطبية والطيبة، توفيق إبراهيم ضمرة، ط1، المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 1427هـ، 2006م.

18- الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الكتب المصرية، مصر.

19- الدبيانات الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها.

20- الرسالة، محمد بن ادريس الشافعي، تحقيق أحمد أحمد شاكر، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

21- الصاحبي في فقه اللغة والدين وسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1997م.

22- العلاقة الجدلية بين تاريخ والطقوس المسيحية، أحمد عمران، د طن دار الوعي، بيروت، لبنان، د ت.

23- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، أبي عبد الله محمد "إبن القيم الجوزية"، تحقيق بدر الدين النعساني، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1327هـ.

24- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، ط2، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، 1978.

25- الكاتب والتوراة عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام، دقن الباشا، **ط1، دار قتيبة، دمشق، سوريا، 1425هـ، 2004.**

26- الكشاف عن الحقائق، غوامض التنزيل وعيون الأقاول في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، د ط، دار الكتاب العربين بيروت، لبنان، 1407هـ.

27- الكلام في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق بشار عوداد معروف، ط1، مؤسسة الرسالةن بيروت، لبنان، 1413هـ، 1992م.

28- الكلمة السواء، ياسر عبد الفتاح الأصطواني د ط، دمشق، سوريا، 19427هـ، 2006م.

29- اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

30- اللغة والنحو دراسة تاريخية وتحليلية ومقارنة، حسن عون، ط1، مطبعة روايال، الإسكندرية، مصر، 1952م.

31- اللغة والنحو الدراسة التاريخية والتحليلية ومقارنة، حسن عون، ط1، مطبعة روايال، الإسكندرية، مصر.

32- المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، ط2، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، المملكة العربية السعودية 1429هـ،2008.

33- المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، ط2، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، المملكة العربية السعودية 1429هـ،2008.

34- المدخل إلى اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417هـ، 1997م.

35- مدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، شعبان محمد إسماعيل، ط1، دار الأنصار، مصر، 1400هـ، 1980م.

36- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسين تحقيق طيار التي قولاج، د ط، دار صار، بيروت، لبنان، 1395هـ، 1975م.

37- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، ط3، مكتبة دار التراث ، القاهرة، مصر، د ت.

38- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، د ط، دار الفكر العربي، مصر، 1350هـ، 1970م.

39- مفردات في غريب القرآن، الرراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت.

40- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط2، ساعدتجامعة بغداد على نشره، 1413هـ، 1993م.

41- المقتضب في لهجات العرب، محمد رياض كريم، د ط، التركي للكمبيوتر وطباعت الأوفيست، طنطا، مصر، 1417هـ، 1996م.

42- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، ط1، مؤسسة الريال، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001.

43- مقدمة عبد الرحمان ابن خلدون، تحقيق عبد السلام الشدادي، الطبعة الخاصة في خمسة مجلدات، ط1، دار البيضاء، المغرب، 2005.

44- الموافقات في اصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبين، تحقيق عبد الله دراز، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د ت.

45- الموجز في الأديان المداهب المعاصرة عرض عقائدي وتاريخي مسير، ناصر عبد الله القفاري وناصر عبد الكريم العقل، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1413هـ، 1992م.

46- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، إبن حزم الأندلسين تحقيق عبد الغفار سليمان الأندلسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ، 1986م.

47- الواضح في علوم القرآن، محمد ديب البغا ومحي الدين ديب متو، ط2، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية، دمشق سوريان 1418هـ، 1998م.
48- أنظر الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، د ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ، المدينة المنورة.
49- أنظر، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، سعد بن سليمان بن ناصر الطيار، د1، دار إبن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1422هـ.
50- أنوار المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق عطية الأندلسي، تحقيق الرحالة الفروق وغيره، ط2، دار الخير، دمشق، سوريا، 1468هـ، 2007م.
51- بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى إبراهيم الإبراهيمي، ط2، دار عمار، عمان، الأدردن، 1416هـ، 1996.
52- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد حسين، مرتضي الزبيدي، تحقيق عبد الستار، أحمد فراج، ط1، مطبعة حكومة الكويت.
53- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسين زيات، د ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع د ت.
54- تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1348هـ، 1969م.
55- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1993م.
56- تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته، أبو القاسم الحسين بن محمد المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عبد العزيز بسيوني وآخرون، ط1، كلية الآداب، جامعة طنطا، (القسم الأول بتحقيق طبع عام محمد عبد العزيز بسيوني

1420هـ، 1999مم) و (الثاني عام بتحقيق عادل بن علي الشدي 1424هـ، 2003م) و (الثالث بتحقيق هند بنت محمد بن زاهد سردار عام 1422هـ، 2001م).

57- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ، 1999م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

58- تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق ك أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1398هـ، 1978م.

59- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م.

60- دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، ط2، المملكة الإسلامية ومكتبة دار الفتح، دمشق، سوريا، 1380هـ، 1960م.

61- دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمان الرومي، د ط، مكتبة الملك فهد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ،2005م.

62- شرح مقجمة في أصول التفسير، ابن تيمة، شرح ساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1428هـ.

63- ضعيف الجامع الصغير، الألباني، طبعة المكتب الإسلامي.

64- علم التفسير، محمد حسين الذهبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.

65- علم الأدلة، أصوله ومباحثة في التراث العربين منصور عبد الجليل، د ط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريان 2001م.

66- علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، نبيل بن محمد آل اسماعيل، ط1، دار التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ،2000م.

67- علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، عدنان محمد زرزور، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ، 1981م.

68- فصول في فقه اللغة العربة، رمضان عبد التواب، ط6، مكتبة الخابقي، 1420هـ، 1999م، القاهرة، مصر.

69- فقه اللغة، مفهمه، موضوعاته، قضاياه، محمد إبراهيم الحمد، ط1، دار بن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، 2005م.

70- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط3، نهضة مصر، الجيزةن مصر.

71- كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، أبي الفرج بن الجوزي، تحقيق حسن ضياء الدين عنتر، ط1، 1408هـ، 1987م، دار البشائر الإصلاحية، بيروت، لبنان.

72- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، تحقيق عبد الجواد حلف، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1410هـ، 1920م.

73- لغات الرسل وأصول الرسالات، موسن عيسى، محمد عليهم الصلاة والسلام، (رسالة الماجستير)، عبد العزيز شهبر وآخرون، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة"إيسيسكو".

74- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد ال حيم، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، 1401هـ، 1981م.

75- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطيف الصباغ، ط3، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، 1410هـ،1990م.

76- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ط3، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، 1410هـ، 1990م.

77- مجمل اللغة، أبي الحسين بن فارس، بن زكريا، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.

78- مجموع اللفتاوى، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، أنور البار وعامر الجزار، ط3، دار الوفاء، القاهرة، مصر، 1426هـ، 2005م.

79- محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، عمان، الأردن، 1423هـ، 2003م.

80- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين، بن مسعود الغوي، تحقيق عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ، 1997م.

81- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ط1، التزام عبد الرحمن محمد، القاهرة، مصر، د ت.

82- مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق عدنان زرزور، ط2، 1392هـ، 1982م.

83- مناهل العرفان في علوم القرآن، محد عبد العظيم الرزقاني، أخرج أحاديثه أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1409هـ، 1989م.

84- مورد الضمآن في علوم القرآن، صابر حسن أبو سليمان، ط1، الدار السلفية، بامباي، الهند، 1404هـ، 1984م.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Le coran : texte, traduction et commentaire, Chikh Si Hamza Boubakeur.

الفهرس

المدخل التمهيدي

المبحث الأول: اللغة والدين

1-تعريف اللغة .....
أ- التعريف اللغوي .....
ب-التعريف الاصطلاحي .....
2-تعريف الدين .....
أ- التعريف اللغوي .....
ب- التعريف الاصطلاحي .....

المبحث الثاني: اللغات السامية

أ- تعريفها .....
ب-خصائص اللغات السامية .....
ج- خصائص اللغة العربية .....

المبحث الثالث: الأديان بين الوحي الإلهي والوضع البشري

أ- الأديان الوضعية .....
ب-الديانات السماوي .....

الفصل الأول

المبحث الأول: علاقة الدين باللغة

- نماذج من علاقة الدين باللغة .....
أ- اللغة المدونة الأصلية للإنجيل .....
ب-اللغة المدونة الأصلية للتوراة .....

المبحث الثاني: اللغة العربية والقرآن الكريم

أ- البيئة اللغوية لنزول القرآن .....
ب- إثبات عربية القرآن الكريم .....
ج- فضل القرآن الكريم على اللغة العربية ومكانتها به .....
د-نشأة علوم اللغة العربية بناء على القرآن .....

هـ- نشأة علوم القرآن باللغة العربية .....

الفصل الثاني

تمهيد .....

المبحث الأول

1-تعريف التفسير .....

أ- التعريف اللغوي .....

ب- التعريف الإصطلاحي .....

2-الفرق بن التفسير والتأويل .....

المبحث الثاني: وجوه التفسير وحكمها

1-التفسير الذي تعرفه العرب من كلامها .....

2-التفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته .....

3-التفسير الذي يعلمه العلماء .....

4-التفسير الذي لا يعلمه إلاّ الله .....

المبحث الثالث: مناهج التفسير

أ- تفسير اللقرآن بالقرآن .....

ب-تفسير القرآن بالسنة .....

ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة .....

د- تفسير القرآن بأقوال التابعين .....

المبحث الرابع: أنواع التفاسير

أ- تفاسير الفقهاء .....

ب-التفاسير اللغوية .....

ج- التفاسير المعاصرة(العلمية) .....

د- التفاسير الصوفية (الإشارة) .....

هـ- التفاسير الباطنية .....

المبحث الخامس: أصول التفسير

أ- علم الحكم والمتشابه .....

ب–خصائص اللغة والأسلوب القرآنيان .....
ج– الناسخ والمنسوخ .....
د– أسباب النزول .....
هـ– علم القراءات .....
و– العلم المكي والمدني .....
ي– علم الأحرف السبعة .....
المبحث السادس: الإختلاف في التفسير
1–وقوع الاختلاف في تفسير القرآن الكريم .....
2–الاختلاف الواقع في التفسير بالمأثور .....
3–الاختلاف الواقع في التفسير بالرأي .....
الفصل الثالث
تمهيد .....
التعريف بأبي بكر حمزة وبالمدونة .....
1–التعريف بالمترجم .....
2–التعريف بالمدونة .....
3–آيات الإشكال وترجمتها .....
أ– ما تعلق بالنحو .....
1–الألفاظ .....
– عود لضمير .....
2–باب التراكيب .....
أولا التقديم والتأخير .....
– الآية الأولى .....
– الآية الثانية .....
ثانيا: الوصل والوقف .....
الآية الأولى .....
الآية الثانية .....

ثالثا: مقول القول .....
الآية الأولى .....
الآية الثانية .....
رابعا: الحذف .....
الآية الأولى .....
الآية الثانية .....
الآية الثالثة .....
ب- ما تعلق بعلم الدلالة .....
أولا: الاشتراك اللفظي .....
ثانيا: الأضداد .....
ثالثا: الغريب .....
ج- ما تعلق ببعض علوم القرآن .....
أولا: النسخ .....
ثانيا: ما ظهره التعارض .....
الخاتمة .....
الملخص بالعربية .....
الملخص بالفرنسية .....
الملخص بالإنجليزية .....
المصادر والمراجع .....
فهرس الموضوعات .....

- **عنوان المذكرة**

دراسة تحليلية نقدية لترجمة بعض ما أشكل تفسيره من القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية –ترجمة أبي بكر حمزة نموذجا-

- **اللغات السامية**
- **علاقة الدين باللغة**
- **اللغة العربية والقرآن الكريم**
- **الفرق بين التفسير والتأويل**
- **مناهج التفسير**
- **الاشتراك اللفظي**
- **الاختلاف الواقع في التفسير**
- **آيات الإشكال وترجمتها**

- ***Résumé***
- **Sammary**